محمد آدم

الحداثة وفلسفة الجمال

موسوعة أعلام الشعر العربي الحديث

محمد آدم

الحداثة وفلسفة الجمال

تقديم ودراسة: أ. د. أيمن تعيلب

موسوعة أعلام الشعر العربي الحديث/ محمد آدم/

الحداثة وفلسفة الجمال

تقديم ودراسة: أ . د. أيمن تعليب

سنة الطباعة: 2010.

عدد النسخ: 1000 نسخة.

الترميز الدولي: ISBN: 978-9933-410-89-6

جميع العمليات الفنية والطباعية تمت في:

دار مؤسسة رسلان للطباعة والنشر والتوزيع

يطلب الكتاب على العنوان التالي:

دار مؤسسة رسلان

للطباعة والنشر والتوزيع

سوريا ـ دمشق ـ جرمانا

هاتف: 0963 11 5627060

تلفاكس: 0963 11 5632860

ص. ب: 259 جرمانا

مقدمة

محمد آدم وشعرية التخييل الشذري التشعبي

تعلمنا شعرية التخييل التشذري التشعبي فن الإصغاء الجمالي للعالم في ذاته ولذاته، أكثر مما نُسلم ذائقتنا الجمالية والمعرفية للمناهج والنظريات النقدية، كما تضيق المسافةالدالة بين الدال والمدلول إلى أقصى درجة ممكنة، ليكون شغل الشعرية على ذاتها، لا على سبيل القطيعة بين الشعر والواقع والعالم لكن على سبيل إعادة إنتاج الواقع والعالم ،فالشعر الشذري التشعبي لايعبر عن الواقع بل يعيد إنتاجه، ولايكمن في دلالة أو موضوع ما، بقدر ما يكمن فى القدرة على تحويل أفق الدال نفسه إلى شبكات نصية تخييلية تداخلية تحولية تملؤها الفجوات والثغرات والإمكانات المستقبلية لايقر لها قرار، تفيض كما يفيض الوجود الحسي نفسه بالتعدد والتداخل والتحول والرحابة، وتقع شعرية محمد آدم في العمق من شعرية التخييل التشذري التشعبي، شعرية الإصغاء الموضوعي واللاموضوعي معا، شعرية نظام اللانظام، مؤسسة لخيال خلاق فريد، خيال متآب على التصنيف والتحليل والتأطير، فهو يعيد تأسيس مفاهيم الذات والواقع والتاريخ والثقافة والأشياء والتصورات والمناهج ولا يخضع لأي منها، لأن الخيال التشذري التشعبي يقع على المسافات البينية التشعبية بين الحدود والأنساق والأعراف والتقاليد، لا يسكن فكرة الحد، بل يسكن فكرة الهجرة الجمالية والعبور الشبكي المعرفي بين الحدود، والخيال الشعري الشذري التشعبي يكتب النسيان لا الحضور، أوقل يكتب نسيان الحضور الذي لايحضر أبداً ولايتطابق مع ذاته، ويكتب العدم بوصفه إمكاناً آخر للوجود، ويدير ظهره لمفهوم الذات الجمالية الكلية المتماسكة، ليكتب تشتت الذوات بما هي بحران أصداء واحتمالات وتوالدات دينامية لانهائية مفتوحة،ففي هذا الشعر ينتفي مفهوم المحاكاة بالمعنى الأرسطي الصوري العقلاني الخطي، ولايخضع الشعرية لمعنى قياسي معين كمفهوم قياس

الشاهد الشعري على الغائب البلاغي والأسلوبي، ولايخضع أيضاً للمفهوم السببي للزمان والمكان، فقد حلت مفاهيم التصدع والتعدد والاحتمال واللادقة واللاالتباس واللايقين فى بنية معرفتنا بالعالم المعاصر وصار التحجب صفة الكائن، والتستر صفة الحقيقة، والاحتمال صفة العلم، والتأويل صفة الواقع، وصارت الحقيقة هي مجموعة الخطابات اللغوية التي تبنيها، لامجموعة البراهين التي تقدمها، وانتفى عن الكون والذات والواقع والمجتمع صفة النظام والمماهاة والانسجام والتتابع، وتجلى كل شيء بوصفه منظومات متداخلة فى حالة من الدوران والتداخل والتوالد والتنامي، ونمو النظام من اللانظام والعكس أيضاً معاً وفي وقت واحد، وهنا يكون التخييل الشعري الشذري التشعبي هو المحاكاة القريبة من طبيعة هذه العوالم، بما هي محاكاة تحاكي الروح والفكر والخيال والتجريب بكل ما يمور بها موراً، وما ينبثق عنهم انبثاقاً حسياً ورمزياً تعددياً، أكثر مما تحاكي المادة والعقل والنظام والاتساق.

ويجب أن نفرق هنا بدقة بين تشكيل شعري نابع من الأنساق والثقافات والأخيلة السابقة عليه، وينتمي إلى هذا التشكيل الشعرى جميع التوجهات الشعرية السابقة على الأجيال الشعرية المعاصرة التي لا تنتمي إلى جيل مدرسة التفعيلة إلا كما ينتمي عصر العولمة إلى التاريخ الماضي القريب أو البعيد، فالشعرية الجديدة المعاصرة تبدأ ولاتكمل، تؤسس ولاتطور، وهي شعرية لاتنبع من التعبيري ولا التجريدي ولا الدرامي ولا الرؤيوي كما فصل أحد النقاد المعاصرين - الدكتور صلاح فضل - أساليب الشعرية المعاصرة[1]، بل تنبع من نسيان هذه الحدود واحتقابها معاً، واستنساغ حسية الوجود الظاهراتية فى ذاتها، بكل كوثرته وتعدده ولاتناهيه، وفرق كبير بين شعرية تجريدية أو تعبيرية أو حسية أو رؤيوية تنبع من رحم الأشكال الجمالية والأنساق الثقافية السائدة والمعاصرة، وبين تشكيل شعري نابع من لحم وعظم الدنيا، يحتق كل الأشكال السابقة عليه ليحولها إلى مدارات وفضاءات من اللعب التشكيلي، والتحول التأويلي، والإمكان التجريبي الاحتمالي، تشكيل شعري شذري تشعبي معني بتأسيس ذاته التشكيلية

بصورة موضوعية وغير موضوعية معاً، فهو يحطم مقولة التعريف الجمالي والمعرفي من جذورها، مستنبطاً جذوراً جمالية بديلة نابعة من رحم الوجود الحي، لا قوة أنساق الثقافة، حيث تنبع كل لحظة من لحظات الوجود من معدن شعريتها التاريخية والمعرفية الخاصة بها، وحيث تتكثر لحظات الوجود، وتتكوثر لحظات الشعرية فتترامى إلى تشعبات وتداخلات والتباسات وتناقضات لا تنتهي، نص محمد آدم نص تشذري غير اتساقي، تعددي غير كلي، تشعبي تحولي عبوري، فهو نص لامركزي بجدارة، يبني الأخيلة الهرمية التدرجية البينية، ولايسلم نفسه لفكرة الموضوع الواحد الواضح،ولافكرة الاتجاه الهادف المحدد، فمحمد آدم، يحطم مقولات الشعر، وأنساق المعرفة، وأطر التخييل، وحدود الجنس الأدبي، فليس الشعر هو الوزن والقافية أو النثر أو الرومانسية أو الواقعية، أو الحداثية وما بعد الحداثية، أو شعرية الطبقة الاجتماعية ولاشعرية رؤى العالم ولاشعرية الحساسية الجديدة كما يقول إدوارد الخراط ولا شعرية الفضاء الإنتاجي المفتوح كما يقول أدونيس، الشعر لدى محمد آدم جموح تخييلي تجريبي يتأبى على التصنيف والتأطير حتى وإن انطلق من حدود جمالية ومعرفية مسبقة أو معاصرة له، الشعرية لدى آدم فضاءات تشعبية تداخلية تبني التناقض إلى جوار الانسجام، والالتباس في معية الوضوح، والتشعيب من داخل حدود التنظيم، والفوضى الخلاقة من داخل حدود الاتساق، وكأن الشعر لدى آدم فصل تأسيسي تجريبي لا يتفيأ حداً جمالياً سوى حد ذاته الخاصة به، فينبني الشعر بالصمت والغياب والإمكان المستقبلي اللامتناهي بمثل ما ينبني بالبوح والحضور والواقع الماثل، الشعر فضاءات نوعية أجناسية تراسلية، أشكال عابرة فى أشكال، تتصادى أشكالها بنيوياً ومعرفياً وتخييلياً في وقت واحد، فينكتب البياض بعد أن تعتصر أشكال اللغة حتى الثمالة، وينبع الغياب إذ يستنضب الحضور الزمني الآني، وتتجلى الصوامت اللاملفوظة إذ تستنفد الطاقات التعبيرية للغة حدودها ومداها، وتجمح قوة اللعب الجاد الأصيل، بعد أن يتخلى الوجود والثقافة، والتصورات الجمالية والمعرفية السابقة عن سلطة الجد، وسطوة النسق الرمزي العام المكون للوعي واللاوعي

معاً، هناك حيث ينمو الوجود والعالم في طلاقة ولعب وفوضى خلاقة، تتخلق أشكال الشعرية لدى محمد آدم، وليس للشعر مآرب أخرى غير تجريب الشعر لذاته وفي ذاته، ولا يعني ذلك أن الشعرية لدى محمد آدم خلو من الأشكال الأيديولوجية والاجتماعية والروحية والفكرية، بل يعني أن أشكال الجمال لديه هي لون من ألوان المقاومة الجمالية والمعرفية ضد كل أشكال النسق والأيديولوجيا، وهي المولدة للواقع الاجتماعي والحضاري والثقافي العام وليس العكس، وانظر معي كيف يبني الشعر العالم من جديد، يقول محمد آدم في "متاهة الجسد"، فصل "أتهيأ لكتابة اسمي ولا أحد يراني":

هكذا

هكذا أبني توافقاتي

وألاقي محبتي الخاصة في صحراء عرضها ذراع وطولها ذراع

وما بين كل ذراع وذراع

تختبئ مشاتل القتل

والقنص

فأدثر بفضاء الموت وأحتمي بي من كلماتي

وأهيئ جسمي

لملاقاة الصلب والشنق والقتل وكافة أشكال

الموت المدونة وغير المدونة كذلك

وأجهز حروفي لملاقاة الفرح

وامتلاء القلب بأجنحة المحبة

وشواهد الاحتضار

وأختفي في ملكوتي !!!

فهل هذا هو الجسد الغيب الذي تتملكه

شهوة الموت في طي المسافات

وعبور الأودية

ومهاوي الزمن

إلى أن يصل إلى قاراته الطافية الغارقة

ويعري لغته وكلماته من الاستعارات

والرمز وحبائل المجاز ؟ (1)

هنا الشعر يتخلق بعيداً عن مواريثه الجمالية والمعرفية السائدة وإن احتقبها في أشكاله المستعصية على التصنيف – هنا الشعر يتخلق من عري الثقافة، أو من أخلاء الثقافة نفسها من مرموزاتها العامة لتنحل الشعرية مباشرة فى بياض الوجود، بعد إخلائها من الأشكال الجمالية ومن حبائل الرموز والمجاز، يتخلق الشعر من جسد الوجود، وأصالة الخلق الأول النابع من اللانظام واللاتعيين والغياب، ويجب أن نفهم هذه المفاهيم بعيداً عن أي مجانية أو فوضى عدمية، فعندما يتخلق الشعر من عوالم الغياب واللانظام والفوضى الخلاقة، فهو يطرق الأبواب الأصيلة المغلقة تاركاً يسر الأبواب الجمالية والمعرفية الفجة المفتوحة، ينتقل الشعر من الأنظمة الجمالية الاتساقية إلى اللاأنظمة الجمالية التجريبية المفتوحة، حيث يحطم الشعر التوازن والنظام والاتساق والمنطق والمماهاة، ويدخل إلى ملكوت الجسد بوصفه رؤيا للعالم واللغة والخيال وبنية الثقافة برمتها، حيث جسد الشعر هو جسد العالم، يقول محمد آدم :

كيف تكون الفراشات لغات مدونة وغير مدونة

على جدران أجسادنا بين قوم مضوا وأقدام

لا تنتوي المجيء

وما بين كل مجيء ومجيء تضيع المسافات وينعدم

الزمن .

ويصبح الوهم هو الحقيقة

وتصبح الحقيقة هي هي عين الوهم

وحبات يقينه ؟!

كيف أعلم الضوء أن يتجمع في شبكات هوائية

لأزمان غير محسوبة ولا مرئية ؟

أنتظر مولد الكلمات على شفا حفرة من نار

وأركض في اتجاه الغيم والبحر

وأتدلى مثل كوكب نائي ومحتضر

في سماء ثامنة

حيث لا ليل فيها ولا نهار

بل ظلام دامس !!

هكذا أتسلق الأودية

وأصعد إلى منافي السماء

وأظل أصرخ وأصرخ وأصرخ

حيث لا أحد إلا إياي

إلى أن أجئ

أو أنطفئ (2) (61)

هذا الخيال الفريد، والتركيب الكوني النابع من جسد الكائنات والأشياء، يضع الذائقة الجمالية السائدة في مأزق كبير، فلابد من مغامرة نقدية جسورة توازي مغامرة هذا الشعر، فالفراشات لغات مدونة وغير مدونة نحن في جسد العالم وخارجه في وقت واحد، وحيث نتسلق الأودية، ونصعد في مناي في السماء، فتتعدم المسافات، ويتلاشى الزمن، وتصبح الحقيقة هي عين الوهم وحبات يقينه، وينتظر الشعر مولد الكلمات والأسماء من جديد على شفا حفرة من نار الخلق والتكوين البدئي، هنا نقض وهدم وإعادة تأسيس وبناء، هنا ينمو الوجود من عمق العدم، بل يصير العدم إمكانا آخر للوجود، ويتحول الغرق في الظلام الدامس حيث لا ليل ولا نهار – يتحول المجهول إلى ميلاد آخر لمعلوم الوجود الغائب، ميلاد أكثر خصوبة وتفاعلاً وقوة، يعلمنا الشعر هنا أن محو عالم الواقع والثقافة والمناهج، هو إيجاد لواقع أكثر سعة وطلاقة، حيث الغرق في الكلية الجسدية للوجود والواقع استتباع لوجود أكثر بهاءاً، إن الضرب والتجديف في عوالم الغياب واللاتعيين ((والزمن اللازمني والمكان اللامكاني))، هو إرساء لطاقات أكثر غنى وتعقيداً، إن تحطيم فكرة المصطلح ومقولة التعريف وسائدات الثقافة وثوابت الأنساق، وكل المقولات الأبستمولوجية والأنطولوجية التي ينطوي عليها العقل القياسي والمنطقي الأحادي والثنائي والخطي والوضعي، إن تحطيم كل هذه المقولات يعني الدخول الحسي المباشر في جسدانية العالم واللغة والخيال، بما يخلق عوالم غير خطية، غير مألوفة، غير متواضع عليها من قبل، ومن ثمة ينتقل الواقع والثقافة من فكرة المواضعة والتواتر إلى فكرة التكشف والمغامرة وتأسيس ميلاد وقوة الكلمات من جديد، ومن ثمة كان الشاغل الأكبر لشعرية محمد آدم هو تثوير اللغة

لاتحريكها، وتأسيس الخيال لا التعبير به، وتكشف الوجود لا ممارسته، فالإنسان ابن الطبيعة وما فوقها، وابن العقل وما فوق العقل، ابن الحسي والتجريدي والتجريبي والاستشرافي في ربقة واحدة، الإنسان واللغة لدى محمد آدم في حالة دائمة من النماء والتشكل والتغاير مع الوجود، هم في حالة من استنساغ الوجود وليس في حالة من استنساخ الثقافة، ومن هنا قرن محمد آدم في شعريته الفذة بين قوة النظام اللغوي السائد وفداحة فوضى اللانظام التخييلي الجامح، إن قدرة الشعر على زرع حالة جمالية ومعرفية غائبة دوماً وخارج معرفية تقع في الهوة الوجودية الصامتة بين النظام واللانظام، بين الحضور والغياب فيذوب العقل والمنطق والمنهج في الجنون الشعري المفكك لكل شيء، بما يرفع المتناقضات من حالات الصدام الجمالي والمعرفي إلى أنساق التداخل المعرفي التخصيبي، والتحقيل الجمالي واللغوي الفكري والمنطقي، ومن ثمة ننتقل من الاستبعاد والسلب والنفي الهيجلي، إلى القران والتداخل والتعدد اللانهائي لدى ميشيل فوكو وجاك ديريدا ومعظم فلاسفة ما بعد الحداثة، بما يؤسس لأنظمة جمالية ومعرفية ومنطقية أكثر تعقيداً وجدلاً وتوالداً وحيوية، يقول عالم الأنثربولوجيا ومؤسس الفكر المستقبلي المركب إدجار موران : "((إن أكبر خطر شكلته منظومة التبسيط ولا زالت تشكله هي أنها تحاول فهم العالم – ذلك المجموع الهائل من المركبات الدينامية والتشييدية والمعقدة واللايقينية والصدفوية والمفتوحة والمتحولة، كما تقدمه لنا العلوم والأبستمولوجيات المعاصرة بأدوات الأبستمولوجيا التقليدية: أبستمولوجيا القرن التاسع عشر: أبستمولوجيا الاختزال والتبسيط والثبات والوضوح وحجب تعقد العالم، ذلك العالم هنا والآن، وبعد الاكتشافات الأساسية لفيزياء الكوانتم وفيزياء الأنظمة المختلة، والفلسفات والأبستمولوجيات والعلوم النسقية عموماً، أصبح يتطلب أدوات وأطراً وفلسفات وعلوماً جديدة لفهمه وهي الغائبة عن الأبستمولوجيا التقليدية، إن الأبستمولوجيا المركبة وحدها..... قادرة على تمثل الوجه الجديد للعالم الذي هو أساساً في جذريته الأولى عالم مركب ودينامي وصدفوي ومتنوع ومتحول ولا نهائي، ذلك أن اختزال العالم داخل بنيات

متعالية وعذرية وشمولية تقدم كبداهات طبيعية أو دينية أو كشرعيات تاريخية أو حتى حداثية، يفضي إلى تشويه وجه العالم، ثم إلى عولمة هذا التشويه "))[3]

وهذا التصور المعقد والحي لحقيقة دينامية وشبكية عوالم الواقع من حولنا، يجعل من قوة التخييل وجسارة المجاز ريادة معرفية جديدة، فلن يتغير العالم إلا بتغير معارفنا ومناهجنا ومنطقنا الذي نفهم به العالم، حتى نعيد فتح حيوية العالم لا غلقه داخل أطر معرفية ومنهجية وجمالية جوهرية وكلية ولقد استطاع شعر محمد آدم أن يخلق تخييلاً شعرياً منظومياً تداخلياً مركباً قادراً على لم شعب الواقع والذات والمجتمع والتاريخ والثقافة داخل أفق شعري تجريبي مفتوح يحتقب كل المدارس الجمالية السابقة عليه، والمعاصرة له، ثم يقيم جدلاً تشعبياً مركباً فيما بينها بما يعيد تركيب حد الشعر واللغة والواقع من جديد لصالح قوة المجاز بديلاً عن قوة الثقافة، ولصالح أصالة الوجود بديلاً عن النسق الجمالي الأحادي أو حتى " العبر نسقي "، فمفهوم الكتلة النصية يتجاوز معظم المفاهيم الشعرية والجمالية والمعرفية السابقة على جيل محمد آدم مثل مفهوم " الفضاء الشعري " الذي اقترحه أدونيس على زمرة جيله الشعرية من قبل واعياً إلى محو الحدود بين الأجناس الأدبية وطارحاً فكرة النص كفضاء، وإدخال مفهوم القارئ المنتج لا المستهلك)[4]

وكلها مفاهيم شعرية غربية استعان بها أدونيس وغيره من نقاد الحداثة من بعده لإرساء مفاهيم جديدة للكتابة كنفي المعلوم وإيجاب المجهول، وإلغاء الحدود بين الأجناس الأدبية، واقتراح الزمن الثقافي بديلاً عن الزمن الشعري، وطرح مفهوم الكتابة بوصفها سؤالاً متجدداً، لا إجابة مطمئنة، وتأسيس مفهوم إنتاجية الثقافة لا استهلاكيتها))[5] .

وربما يعيدنا كل ذلك إلى فكرة النص المغلق والنص المفتوح لدى إمبرتو إيكو، أو فكرة النص المكتوب والنص المقروء لدى رولان بارت، وفكرة جامع النص لدى جيرار جينيت من خلال العلاقات عبر النصية المعروفة: التناص، النص النظير، ما وراء النص، النص الأعلى، جامع النص وهو الأكثر تجديداً حيث يعني لدى جيرار جينيت " مجموعة الخصائص التي ينتمي إليها كل نص على حدة:

أصـناف الخطابـات، صـيغ التعـبير، الأجنـاس الأدبيـة...... ويخلـق النـوع الأدبـي المكتوب، على ظهر الغلاف " أفق الانتظار " خاص يكون بمثابة المقود الذي يوجه عملية القراءة لدى المتلقي)[6]

لكـن شـعرية محمـد آدم لا تنتمـي إلى الـشعريات الـسابقة إلا بمقـدار مـا ينتمـي الحاضر الخاص للغاية، للماضي الآمن المطمئن، شعرية محمد آدم شعرية (استنساغ البياض الوجودي الأصيل) لا شعرية "استنساخ أشكال الوجود" المتوارثة والسائدة، شعرية محمد آدم تكتب البياض والعري والغياب والنسيان، وتبني التفكيك والهلام والإمكـان، شـعرية محمـد آدم هـي اشـتغال خـالص علـى الـشكل اللغوي والجمـالي والثقافي بعيداً عن أي نمذجة أو معيارية أو تصنيف، هي حلول تخييلي محض في قلب الوجـود لتكتبـه مـن جديـد، ومـن ثمـة فهـي معنيـة بالتنـاقض والفوضـى لا الاتـساق والنظام، وبالتشعب والتداخل لا العناصر والأنساق، وبالاحتمال والإمكـان لا الـسائد والمتـواتر، شـعرية تـرى إلى العلامـة بوصـفها شـكلاً للعـالم ومحـواً لـه في آن، فاللغـة والمواريث والسائدات بقدر ما تبني تهدم، وبقدر مـا تـبين تحجـب، ولابـد مـن تفكيـك الذات والواقع والعالم والثقافة حتى نـراهم بصورة أعمق، وأخصب وأعقد، فالعـالم يقع في اللغة وما وراء اللغة في آن، يقع في قدرة الإمكان المستقبلي أكثر ممـا يقـع في سطوة الأنساق الثقافية والمعرفية والجمالية الكائنة، ليس هنـاك حقيقيـة أكيـدة توجـد في هـذا العـالم، بـل أقـصى مـا يمكـن وجـوده مجموعـة ترابطـات ثقافيـة، ومشتركات حسية، وسائدات معرفية جمالية تبني الحقيقة بزعمها، ومن ثمة كانت شعرية محمد آدم لعباً جمالياً كوزومولوجياً منفتحـاً علـى الهدم والبنـاء في بنيـة المادة والواقع المحيط بها، إنها كتابة تنبعث من قلب العدم، وليس العدم هنا مقـابلاً ضـدياً للوجود، بل هـو الوجـود في أقصى درجـات إمكاناتـه المـستقبلية الكمينـة، العـدم هـو وجـود أبـدي الكمـون قبـل أي تكـوين مـسبق، ومـن ثمـة فـشعرية محمـد آدم تقـع في العمـق مـن هـذا الإمكـان الـزمني التعـددي المـستقبلي، إنهـا كتابـة وجـود لا كتابـة تعبير، يقول محمد آدم:

هناك ...

حيث يرقد الأزل في بحر الهيولي والكائنات بلا اسم

ولا رسم وبلا شبح أو صورة

حيث كل شيء كأن لم يكن

هو العدم في مجرة اللانهاية إذن ..آ ....آ ...آ

حيث الكاف خارجة لتوها من الظلمات

ومتوجة بالإرادة والرغبة

حيث الزمن لا شيء

والمكان لا مرئيات

سأقول للريح أن تنكس البيوت والشوارع

وتطفئ المصابيح

وأحترق بالرماد يوما ما

وأصلي على جسماني صلاة دائمة حتى أرى

القمر بازغا

فأقول له:

أأنت هي؟

محمد آدم يكتب هنا شعرية الوجود، لا أشكال الثقافة، جسد الحياة، لا أنساق الرموز، نسق التعدد والتنامي والتشعب لا نسق الاختزال والتجريد والبساطة الفجة، ويظل المجاز الفذ لدى آدم قدرة معرفية تأسيسية قبل أن يكون قدرة تخييلية، ولا يستطيع أي منا أن يصنف محمد آدم ضمن أي معيار جمالي سابق عليه، فهو ليس شاعراً رومانسياً أو ميتافيزيقياً وإن حلق شعره في أفق التسامي والقلق والاغتراب، وليس شاعراً جدلياً بالمعنى الماركسي أو حتى الخطاب الثقافي وإن تركب شعره من جدليات مادية وتاريخية وفكرية وروحية، وليس شاعراً واقعياً وإن نبع شعره من مادة الواقع نفسه، شعرية محمد آدم شعرية النسق المتعدد المنظومي المتأبي على كل تصنيف أو معيار، فمعيار شعره نابع من حيوية جسد الحياة نفسها، الحياة وهي تتحول وتتقلب وتتطور بصورة مطلقة لا نهائية، والحياة دائماً أكبر من نفسها، فالحياة الحسية للوجود أكثر حياة في كل لحظة تمر بها من حياتها المسبقة، الحياة انفتاح تشعبي مطلق، وتجاوز خلاق، وإمكانات مستقبلية كامنة، واستحالات تصورية ممكنة، لكن لا يبين لنا في حياتنا الثقافية العربية غير الخطوط السميكة الغليظة للحياة، هذه الخطوط التي تشرخنا وتجزئنا وتصنفنا في مركزية سياسية واجتماعية وثقافية رديئة، مركزية منضبطة وعقلانية ووضعية قاهرة، يترتب وجودنا وعقلنا وروحنا وخيالنا داخل أنساقها الثنائية المتعارضة (رجل – امرأة – مدرسة – حياة – حسي – تجريدي – شعري – نفعي – ماضي – حاضر – سلطة – فرد) إلى آخر التراتب الرمزي الحديدي القاتل، لكن شعرية محمد آدم تكشف لنا أن العقلانية والوضعية والتسلسل المنطقي المتبع محض عدم ووهم، يقول الشاعر في نص "طراد":

العقل

آه تمكنت منك أيها العدمي !!

كيف تبحث عن الزمن خارج الزمن

كيف تبحث عن الخلاص

وبعيداً عن تلك المادة العقل ؟!

أيها العقل

يا صديقي العدمي

أخيراً بأحد معاولك

تمكنت منك

يا لها من ضربة حظ عمياء ؟! ص379

العقل أعمى يحتاج إلى بصيرة تقوده، وربما تحرك العقل بمنطق مالايقال فى صورة خداعة لما يقال، وجميع المنهجيات والتصورات والأنساق كليات أيديولوجية قاهرة، والإحساس الثقافي العام دمار عام، لكن الشعر قادر على الغوص في بهجة جسد الحياة بعيداً عن أي قانون أو معيار أو تصنيف، يقول محمد آدم في نص "محنة":

أحياناً

يعجز الكلام

وتتواطأ اللغة

أما القلب

فيمحو ما يشاء

ويثبت ما يعرف أنه الحقيقة

الحياة خطوط خصيبة لا متناهية ومتشعبة ومتنامية فيها الخطوط الظاهرة الواضحة، وفيها الخطوط الضامرة الرقيقة المتموجة المتحركة التي تتدافع صوب جسد المستقبل بصورة حتمية وخطوط خفية لا مرئية ممعنة في عدمها وغيابها

وصمتها لكنها مجهزة بحيوية الخلق، وطاقات التوالد، وكثافة الإمكان المستقبلي الكمين، وبهذا الوعي المنهجي والمعرفي والمنطقي الجديد، وعى محمد آدم شعريته التجريبية المفتوحة، فكتب ثلاثة دواوين أو قل ثلاثة ملاحم تقع في العمق من شعريته الأصيلة وهي "نشيد آدم" و"متاهة الجسد" و"هكذا عن حقيقة الكائن وعزلته أيضاً" وسيظل الخطاب النقدي العربي والغربي معاً في ارتباك منهجي وجمالي ومعرفي أمام هذه الأعمال الثلاثة لأنها تؤسس لوعي جمالي وإنساني جديد يحتقب في ضميره أزمة الثقافة العربية والثقافة الغربية معاً دون أن يخضع لشروط هذه الأزمات في خطابها الثقافي الخاص بها، بل يخضع لأصالة وكثافة الوجود في ذاته

يقول محمد آدم :

"أحيانا"

أحياناً يكون لي هيئة الحجر

ولا أتربع إلا على صوان العادة

وأبتكر شكلاً آخر يليق بالمادة

أحياناً أسير في الطريق

مثقلاً بما كان وما سوف يكون

وأرتقي درج الوحشة

وأتشبث بما أعرف

وما لا أعرف

فلا يلوح لي إلا أنت

أيتها الكلمة التي

تبتكر شكل المعنى (ص264)

ليس هناك شيء ما سابق على الوجود، وليس هناك لغة حقيقية غير لغة الوجود نفسه، وكل ما نتصوره من أفكار وتصورات وأنساق عن الوجود هي محض إمكان لغوي ضمن إمكانات أخرى هائلة وممكنة، وربما غيبت هذه الإمكانات الواقعية البديلة لأسباب أيديولوجية واجتماعية ومنهجية ومنطقية، فالحقيقة تكمن في الغياب أعمق من ظهورها فى الحضور، وشعرية محمدآدم تكشف لنا دوماً أن النسق الثقافي الذي نتحرك فيه هو صورة من صور الأيديولوجيا لا أكثر ولا أقل!!ورغم أن الشعر ينبع من اللغة واللغة أيديولوجيا لكن الشعر قادر على يناوىء الأيديولوجيا النابع منها بأيديولوجيا بديلة، فالشعر مقاومة جمالية ومعرفية تتم في اللغة وباللغة، فليس هناك طبقة اجتماعية ينتفح هنا النص كما يقول الماركسيون التقليديون، وليس هنا رؤية للعالم محددة كما يقول الماركسيون الجدليون أنصار لوسيان جولدمان، وليس هنا تماثل ما للنص يخدم توحد ما للمعنى، بل النص هنا يتحدد بعدم تحدده،أوقل يتحدد بقوته على الفيض والعبور من حد تشكيلي على حد تشكيلي آخر، والانسراب إلى مكامن الغياب والعدم والإمكان الذى لاينتهي،وكأن شيئاً من اللاوعي قد حل في بنية الوعي نفسه، أوقل إن شعرية آدم تجسيد للبعد اللاشعوري الحلمي والرغبوي الكامن في البعد الشعوري العقلاني، فهي تكشف عن لاوعي الثقافة المحرك لوعيها، ليس هناك كليات وتعميمات ووضوح ومركزية بل هناك تعدد وتناقض والتباس ولامركزية في كل شيء، شعرية محمد آدم شعرية البناء التخييلي الهرمي التعددي المتدرج، فهي تؤسس منطقاً للخيال لايقل عن منطق التعقل والتمنهج،منطق يلتحم فيه التناقض بالاستدلال، والنظام باللانظام،ومنهجية التعقل بالخطاب القيمي والسياسي للمعرفة، وبالتالي فالحقيقة ليست هي البحث عن الطرق الموصلة إليها، فهذا مستحيل، بل الحقيقة تكمن في قوة تأمل الخطابات اللغوية والرمزية التي تنتج مفعولاتها وقوتها وسطوتها الخادعة، ومن ثمة لايهتم الشعر لدى محمد آدم بالانفصالات التنظيرية والابستمولوجية للمعنى والعالم، فليس هناك متغيرات سوسيولوجية خارجية تقف بإزاء شعرية سوسيولوجية داخلية، شعرية محمد آدم

تنفي هذه التصورات الوضعية والامبريقية والجدلية لحقيقة الذات والواقع والتاريخ والهوية والوعي، وتبني بديلاً عنها هذا ((الخارج الشعري الخارج على ذاته متداخلاً مع هذا الداخل الشعري الخارج على ذاته))، وهذا يعني أن ثمة انفصالاً أبدياً قد حل في بنية الكائن نفسه، بما هو زمنية كثيفة متقطعة ومتصدعة، وبالتالي بنية اللغة المجسدة لهذا الكائن، فليس هناك امتلاء أنطولوجي، وليس هناك اتصال زمني، وليس هناك تماسك تاريخي خالد، بل هناك تعدد واختلاف وحركة وقلق ونشاط، ليس هناك خط مستقيم للمعنى يستتبعه نمو وتحليل ووضوح وهدف، بل هناك إحالات لامتناهية للإمكان المعرفي والزمني والتخييلي، في شعرية محمد آدم تفكك بين الحاضر وذاته فهو من الكثافة والتعدد والترامي إلى الدرجة التي تجعله لايحضر أبداً حتى يتطابق مع ذاته، الواقع والشعر كلاهما إنتاجية لغوية ووجودية لاتنتهى عن العمل والبناء والهدم وإعادة التأسيس، الوجود ليس عنصراً مستقيماً منعزلاً، بل حقلاً جدلياً تعددياً تشعبياً مفتوحاً لايرتد أبداً إلى تماسك وانسجام الدلالة، أوشفافية المفهوم، أونسقية البناء، ليس هناك في شعر محمد آدم هذه الجهة المحددة التي يسير باتجاهها الخيال والدلالة والبناء، بل هناك فقط منظورات تخييلية لانهائية، وفضاءات شذرية تشعبية، وتحقيلات معرفية تأويلية، لاانفصام بين العلم والأيديولوجيا فى شعرية محمد آدم، بل يبطن البعد اللاشعوري والرغبوي كل توجهات حركة العقل واللغة والتخييل، ولهذا احتفى محمد آدم في شعريته أيما احتفاء بالعدم والفراغ والصمت والغياب والمجهول والجسد ولربما وقعت جماليات الجسد في العمق من هذا الاحتفاء الجمالي والمعرفي اللامركزي، حيث جسد الثقافة يمثل جسد الحياة نفسها، وحيث ينفتح الجسد على الإمكان المستقبلى للوجود، ولابد من استبدال جسد الثقافة الميت بجسد التخييل الحي الموارى، والجسد في شعرية محمد آدم لا ينفصم فيه البعد الأنطولوجي عن البعد الأبستمولوجي عن البعد السوسيولوجي، فالجسد نفسه صناعة أيديولوجية لغوية، بل يتداخل الجسدي بالوجودي بالعاطفي بالميتافيزيقي بالحسي بالتجريبي معاً وفي وقت واحد، فالمعرفة التخييلية الجمالية لدى محمد آدم هي معرفة متجسدة بالمعنى

الفلسفي العميق الذي طرحه كل من جورج لايكوف ومارك جونسون في كتبهم المتعددة عن "العقل المتجسد"،بدءاً من كتاب ((الاستعارات التي نحيا بها)) ومروراً بكل كتبهم التي أعادت بناء مفهوم العقل المتجسد فى الفلسفة الغربية، حيث لا ينفصم المبحث القيمي عن المبحث العقلاني، ولا العقل المجازي الحسي عن العقل المنطقي والتجريبي،ولامبحث المنهج عن مبحث الرغبة والإرادة والجسد، فلأول مرة في تاريخ العلم التجريبي الحديث يتدخل منطق العلم ذاته ليقرر لنا بأنه لا يوجد عقل أو منطق أو منهج أو إمكان للمعنى خارج نطاق رغباتنا وقيمنا وأخلاقنا وأهوائنا ومجازاتها وأوهامنا أيضاً!!، وأن الاحتكام إلى العقل المحض والمنطق الخالص، والرموز المحايدة هو الأكذوبة الكبرى، والوهم المقيم،الذي أقض مضاجعنا فى واقعنا العربي المعاصر، وجعلنا نعيش فى مجتمعات من ورق،وحضارات من ديكور مزوق،وأنساق من وهم وكذب، فليس هناك لغة علمية موضوعية دقيقة، وليس هناك شيء بشري مقدس، وليس هناك مركزية عقلانية، وليس هناك علم بالمعنى المطلق، ولا كبار علماء أو ساسة أو حتى رجال دين بالمعنى المطلق، بل هناك فقط إمكان للعلم ومحض اجتهادات ونظرات قاصرة مرتبطة بحدود زمانها ومكانها، وهناك علماء بقدر اقترابهم من أصالة الوجود، وحقيقة الواقع، ومحدودية العقل،وقصور المنهج، وفجوات المنطق، وأوهام اللغة، وهناك فقه جاد للدين بقدر ما هناك قدرة على ربط الإنسان بإنسانيته وحسيته وهمومه البشرية، وحدود دنياه، وحدود عقله، وممكنات تاريخه، ومعرفة قصوره، وكل ذلك قد يصنع تساميه وتعاليه على محدودية أفقه، لقد تحطم السياج الوقور للعقل في كل مجالات الحياة، وصارت المعرفة الحقة الأصيلة هي المعرفة العقلانية المتجسدة، لا المعرفة الموضوعية المجردة، ولا يصح في مثل هذا السياق مقولة ديكارت "أنا أفكر إذن أنا موجود"، لأنه ليس بالفكر وحده يحيا الإنسان، بل كل فكر عقلاني يحتوي ضمناً وصراحة على فكر نفساني، وفكر مجازي، وأهواء حسية، ورموز أيديولوجية، فالوجود والحياة يتحركان وينموان بمنطق الرغبات والأشواق والأخيلة، بمثل ما يتحركان وينموان بمنطق العقل والتجريب،

فبنية التعقل والتمنهج مبنية بالكلمات والتعبيرات والأيديولوجيات، ومن ثمة كان الهم الأكبر لشعرية محمد آدم وجيله هو البنية اللغوية ذاتها وفي ذاتها، فنظراً لهذه العلاقة البنائية الاعتباطية التي تربط بين الدال وما يدل عليه لأن ما يربطهما هو محض اتفاق ثقافي عام، وليس حقيقة وجودية أصيلة، لهذا كله صارت شعرية التخييل المنظومي لدى محمد آدم وسائر جيله مبنية على شعرية الدال لا شعرية المدلول في المقام الأول، ذلك أن الاشتغال المجازي الجاد العميق على بنية الدال نفسه سوف يفكك من كافة الأنماط المعرفية والسياسية والاجتماعية والثقافية الجامدة ويطلق المعرفة والعارف والمنهج والمنطق من حبائلها الثقافية والسياسية والمجازية العامة، ويفتح من أفق الفكر على أفق الوجود، وينشط من حركة اللغة لتنبثق من جسد الوجود، ويهدم من الأنساق الفكرية الصارمة ليفتحها على لدانة ومرونة فكر الأسئلة، وقلق البحث، وقوة منطق الثغرات والفجوات المفتوحة على طاقات الاجتهاد والشك والإرجاء والممكن المستقبلي الكمين، ومن هنا كان مجاز الجسد أو قل شعرية الجسد مقوماً شعرياً أصيلاً في شعرية محمد آدم، حيث يدخل الشعر بنية النسبي في بنية المطلق، وخيالات العرفان في منطق المعرفة، بما يفكك الوعي الإنساني ويعيد ترتيبه وتنظيمه وخلقه من جديد، يقول محمد آدم متخذاً من جسد الحبيبة عبوراً إلى جسد العالم واللغة والمناهج والتاريخ وبنية الثقافة برمتها:

عينها بحيرة ساكنة

وجسمها براكين

صدرها مجرة مكشوفة ونهدها أغادير

جذعها نخلة ضارية وبطنها فتوحات

وما بين النهد وعريشة النهد تكون سماوات

وأرض برمل وأشواك

وعلى ساحل النهد تكون غابات بها الوحوش

حشرت

ومن الأحراش ما لا عين رأت ولا أذن سمعت

وعلى جزيرة الجسد ترتبك الذاكرة ويبحث

الزمن عن اكتماله وفوضاه

هل يكشف الزبد عن سره

وينقبض البحر إلى نقطة الدائرة ؟

أرى شجرة زاكية تخرج من فوضى الجسد وجذع

المرأة فأظلل بها وأكلل بها وقتي .

إلى أن تريني من الحال والكلام ما أخوض به

لجة الجسد ومحار الحرف

وأنجو من الموت فلا أطفو إلا على ساحل الجسد

أو أموت ولا أخرج منه إلا إليه

عندئذ

أشرق بنور شمس على بحيرة الجسد

الخضراء، وأتهجى حروفه وأفك مغاليقه

وطلاسمه. ص267

في هذا الشعر ترتبك الذاكرة واللغة والهوية على جزيرة الجسد ، وينفك الزمن عن جريانه الفارغ باحثاً عن امتلاء جديد وخصيب مستتبع من ينابيع جسد الوجود نفسه ، هنا تشذر وتقطع وانفصال ، ولابد من رأب الصدوع بالبحث عن معنى آخر ، حيث تنغل القصيدة في حسيات العالم واللغة والواقع بوصفها جميعاً صوامت حسية شيئية عينية ، مغلقة كالمحار الحي على كينونة اللاشكل الذي يتموج به جسد الواقع الحسي اليومي المعيش، النافر عن أي منطق أو تصور أو منهجية ، حيث تنطلق جماليات الشعر لدى محمد آدم من تفاصيل الجسد فتغيب مقولات العقل ويصبح كل شيء سبباً ومسبباً فى واقت واحد ، مباشراً وغير مباشر- واعٍ ولاواعٍ ، فيتدافع المكنون الحسي الكامن في لاوعي العالم واللغة والواقع ، فيتهادى النص لابعد جمالياته المسبقة ولابعد جمالياته المعاصرة واللاحقة ، بل يتهادى من رحم نواوير التفاصيل الحسية الصامتة في الوجود ، فتجمح باللغة على قول مالم تتعود قوله ، تكف اللغة هنا أن تكون وهمها الشائع ، فتستبدل بالنسق الثقافي العام ، النسق الوجودي الحي ، حيث لامعرفة سابقة على اللغة والواقع فيعرف بها نفسه ، ولامعرفة محددة في القصيدة فيسترجع بها الواقع واللغة والشعر مداليلهم المحددة ، بل ((تستنسغ الشعرية)) الواقع والذات والعالم ولاتستنسخهم ، حيث يكون الواقع الحسي اليومي هو نفسه ولازيادة ولانقصان ، وهنا يقع النص الشعري لدى محمد آدم في الفجوة المعرفية بين أقصى طاقات حدود الشكل الشعرى ، وأوائل حدود طاقات اللاشكل الشعري ، فيتخلق ماهو بطبيعته متأب على الخلق والتشكيل والتصور ، فبنية تشكيل النص الشعري لدى محمد آدم هي بنية تشذرية تعددية تحولية غير مركزية تبني الحقيقة والعالم ((بناء تدرجياً بينياً لابناء تراتبياً كلياً)) ، لأنها تبني التناقض والتعدد واللاالتباس والمراوغة والصمت بوصفها حدوداً علمية وشعرية معاً لأوجه الحقيقة ومنظوراتها اللانهائية ، وتوالداتها الإحالية الواعية واللاواعية معاً ، حيث ((الشعرية عبوراً لانسقاً ، ونشاطاً لاتركيباً ، ونسياناً لاتذكراً ، وتصدعاً لاتطابقاً ، واختلافاً لاتفاقاً)) ، فالنص الشعري لاينبع من منطق القصد والتحديد والتاريخ والثقافة ، قدر ما ينبع من منطق التخييل

والوجود والتعدد والإمكان، ومن ثمة فإن الشعرية الشذرية التجريبية لدى محمد آدم تعلمنا فن الإصغاء إلى حيوية جسد الوجود، أو قل جسد حيوية الأشكال اللامتناهية فى الوجود، أكثر مما تعلمنا الاطمئنان إلى النظريات والمناهج، والتسليم بقوة العقل الخالص،وتماسك الهوية، وعمومية وشفافية الحد المعرفي المنسجم مع ذاته، ومن هنا كانت ضرورة تأسيس((علم جديد للأدبية))، يتشكل وفق الوقائع الأسلوبية واللغوية والبنيوية والحضارية والثقافية والتجريبية المستمدة من وهج الإبداع الشذري ذاته ووفق حدوده التشكيلية اللامتناهية، بعيداً عن حدود التصورات النظرية النقدية المسبقة مهما ادعت القوة والرصانة الجدلية، فالحياة أكثر رصانة ومنهجية وتعددية وجدلية من كل النظريات،فطالما أدبية الأدب تتنامى عبر بنيتها الجمالية والخيالية والمعرفية والتجريبية النوعية، وليس عبر العقل النقدي الجدلي التحليلي التصنيفي، فيجب أن تنبع أدبية الأدب ومنهجيته معاً من بنية الأدب نفسها حال اشتباكها مع بنية جسد الواقع نفسه، ولا يكون دور المنهج النقدي العلمي التحليلي في تأسيس علم الأدب فيما نرى غير الاستهداء بروح العلم وانفتاح الفرض، القادر دوماً على تأسيس آليات المنهج والمعرفة بعيداً عن الإلزام والتصنيف والقولبة والمعيار. يجب أن يقيم المبدع جدلاً علمياً وجمالياً وإنسانياً بين صرامة النظرية اللغوية، وتعقيدات حسية جسد الحياة التي تعلو عليها،فاللغة الشعرية اجتراح حسي للعالم والواقع والذات، والحسية هنا لا تعني الفجاجة الواقعية غير المصفاة جمالياً، ولاتعني البرناسية التى تنغل في حسية المادة في العالم بصورة جمالية موضوعية، بل تعني قدرة الشعر على الامتلاء المجازي، والتضلع اللغوي بالحسي التجريبي، والقدرة على اختزان الطاقات الدلالية الحسية التي تكتنز الواقع والذات والثقافة برمتها، وإذا كان الانفعال الفنى انفعالاً حسياً جمالياً بالواقع فإن اللغة الشعرية هي مكمن انفعالات الحس، ومأوى لذائذ التصورات، وعندما قرن رولان بارت بين نص اللذة ونص المتعة،كان يربط بين قوة اللذة الحسية الكامنة في البنية اللغوية والأسلوبية للنص والمولدة لطاقة الاستمتاع في جسد الكلمات وخصوبة الأسلوب، ومن هنا يجب أن ننظر لمفهوم النص الأدبي

أياً كان شكله ظاهرة جمالية ومعرفية ووجودية حسية معقدة غاية التعقيد، مثلها مثل باقي التكوينات الحسية الحية للكائنات والموجودات والأشياء، ومن هنا كانت هذه الأزمة النقدية المستعرة عبر المدارس والفلسفات النقدية المختلفة: بين نظريات النقد من جهة، والطلاقة الحسية للفنون من جهة أخرى، من جهة تحديد مفهوم الفن ماهية ووظيفة، ففي كل مدار معرفي فلسفي جديد تتجدد هموم العقل الجمالي فيعيد النقد معرفته بذاته وبالفن من جديد بناء على حيوية الحس الجديد بالعلم والعالم والنص، ولن ينفك هذا الجدل التكويني التركيبي التأسيسي ديدن الإبداع والنظريات النقدية المشتغلة عليه، حيث تنتفي التركيبية الجدلية الهيجلية المجردة والباحثة عن الاتساق التصوري التركيبي، وقفل المجرى الأنطولوجي الحسي للزمن والفكر واللغة والتاريخ والإبداع أي الحس الطازج الحي بالوجود، لكن لابد من تأسيس جدلية حسية تناقضية بنيوية دينامية مفتوحة بصورة لانهائية على اللغة والوجود والواقع والحضارة والثقافة برمتها، فعلى حين تتجلى النظرية في دقة اتساقها المنهجي، وبنائها الموضوعي الصارم، وجدليتها المادية المتماسكة، يبدو النص الأدبي سياقاً جمالياً ومعرفياً حراً خلاقاً، يعني بمنطق الفجوات ضد مقولات الاتساق، وببلاغة اللامعنى في مواجهة البلاغة المعيارية الرسمية العامة، وبكتابة الصمت بوصفه إمكاناً آخر للكلام، والعدم بوصفه احتمالاً آخر للوجود، وإذا كانت ثقافة النص الأدبي تتجلى عبر سياقات ضمنية معقدة غير مباشرة، فإن هذا يتطلب بالموازاة من نظرية النقد هذا الاحتشاد المعرفي والجمالي بغية الاقتراب من هذا المخلوق الأسطوري التركيبي المعقد الذي يتعالى بطبعه على العقل والمعيار والأنماط النقدية السائدة العامة.

لقد كان محمد آدم شاعراً بارعاً وخلاقاً حينما اتخذ من بنية الجسد مدخلاً لرؤيا العالم والواقع والذات والثقافة وتجريب الإمكان المستقبلي البعيد القريب، ولم يكن الجسد لدى آدم مجرد نوازع حسية ووتراكمات كمية بيولوجية، هذا هو الهيكل الخارجي للجسد، وهذه واقعية موضوعية فجة، بل كان الجسد قدرة لغوية وميتافيزيقية وتخييلية على اجتراح روح الواقع وسر العالم فى عريهما الحسي

المباشـر دون مواربـة تـسلطية رمزيـة مـن الـسلطة الـسياسية والاجتماعيـة أو حتـى الدينيـة ، وهـذا راجـع إلى عمـق الـوعي الفلسفي والجمـالي بطبيعـة الفـن لـدى محمـد آدم، الذي اتخذ من نصبة جسدانية اللغة والوجود تكويناً شكلياً خلاقاً للحوار مع النظرية والوعي ومعظم أفكارنا عن الواقع من حولنا ، لقد لقن آدم التراث الـصوفي العربـي والـتراث الفلـسفي الغربي ،حيـث نجـد هـذا الاسـتيعاب العميـق لميتافيزيقـا الجـسد لـدى الـصوفيين العـرب والفلاسـفة الغـربيين خاصـة فلاسـفة مابعـد الحداثـة الذين أعادوا تنظيم العقل الفلسفي الغربي بنـاء علـى الـتفكير المتجسد لا الفكـر الـديكارتي المجـرد ، ولقـد دمـج محمـد آدم عـبر خيالـه التعـددي التجـريبي بـين قـوة المـوروث الـصوفي العربـي في رؤيتـه لجـسدانية الخيـال واللغـة ، وبـين قـوة المعرفـة المتجسدة في الفكـر الفلسفي الغربي خاصة لدى جورج لايكوف، ومـارك جونسون في مشروعهم الفلسفي المعرفي في إعادة بناء الفكـر وعلاقتـه بفكـرة الجسد ، حقـاً إن نيتشة قد تصور الحقيقـة قـوة مفعمـة بـالرغبـة والإرادة والجسد ، ولـكـن اسـتطاع كل من لايكوف وجونسون أن يقيما بنـاء فلسفياً هـائلاً لتأسيس هـذه المفـاهيم في بنيـة الفكـر الفلـسفي الغربـي فـنحن إذ نفكـر بعقولنـا نفكـر في الوقـت نفـسه بأجسادنا ، وإذا كانـت الـصوفية العربيـة اتخـذت مـن الجـسد أيقونـة إشـارية لـصورة جسد العـالم وجسد الحقيقـة في مرقاتهـا مـن ضيق أحيـاز المـادي إلى رحابـة الـسعة الرمزية والمجازية ،فإن شعرية محمد آدم ربطـت بـين هـذا كلـه وتجسيدات الفلسفة الغربيــة حــال دمجهــا بــين الحقيقــة وملابـسات تجـسداتها الماديــة في بنيــة الواقــع والتاريخ، لكن شعرية آدم قد زادت على ذلـك بـأن ارتقـت بـالوعي التجسدي المـادي للحقيقـة إلى الـوعي المجـازي الكـوني للحقيقـة بمايوسـع مـن حـدود الـوعي والخيـال واللغة والوجود ، ولقد رأى الشيخ الصوفي الأكبر ابن عربـي أن كـل شـيء فـى هـذا الكون حقيقة؛ لافرق بـين ظاهـر وباطن،ومجـاز وعقـل، وواقـع وإمكـان، ومـن ثمـة اتخذ محمد آدم من بنية الجسد في معظـم دواوينـه خاصـة ديوان ((متاهـة الجسد)) مجازاً للحقيقة الغائبة والـكامنة والصامتة، ولقد وعى كثير من النقاد هذا الجدل الجمالي بين الشعر والجسد بصورة خاطئة أو مرتبكـة غير ناضجة ، فقـد ظنـوا أن

الشعر أو الفن عموماً يساوي بين اللغة والواقع، أو بين الجسد ومجموع أجزائه وأعضائه، وهي نظرة ميكانيكية فجة للوجود والثقافة، ولكن محمد آدم في توظيفه لبنية الجسد في شعره خاصة ديوانه الرائع ((متاهة الجسد)) كان فيما نرى يخلخل من خلال التصوير والتشكيل الشعري هذه العلاقة الزائفة والمتسلطة بين الجسد والنظرية، لصالح الجسد اللغوي نفسه، أو قل لصالح جسد الحياة نفسها وغجريتها الخلاقة.حيث الجسد اللغوي والجمالي هو المعادل الرمزي الجمالي للعالم والثقافة وجسد الواقع من حوله، إن محمد آدم فى (متاهة الجسد) يؤثر أن يلمس جسد الحياة على الإذعان لأفكارنا عن الحياة، أو قل إنه يخلخل بنية المعنى الشائع المجرد ليعيد بنائه وفق خبرته الحسية الخاصة بالوجود والواقع، ((فهو شعر يستنسغ الوجود بصورة حية خلاقة،ولا يستنسخه بصورة شكلية فجة))، ونرى دوماً لدى محمد آدم هذا الجدل الشعري المناور بين بلاغة الجسد الحي في تكامليته وتدامجه النشط، وبين التكوين الآلي الميكانيكي المجرد لبنية اللغة الرسمية العامة، فنجد دائماً هذه المناوأة السردية التخييلية بين جسد التخييل السردي للشعر وتجريد النظرية والأفكار، حيث يبلغ قلق التشكيل الشعري الحي ذروة عميقة الغور من التوتر الحسي بين التجربة الحية الخلاقة، وبين تصوراتنا المسبقة عن الحياة، فنحن غالباً لا نرى الحياة فى حسيتها وقلقها الحي المباشر بقدر ما نرى ما نود رؤيته فيها أو ما تتيحه تركيباتنا العقلية والوجدانية المسبقة التي تقف باستمرار حجر عثرة ضد روح جسدية الحياة نفسها، إننا نغلق أفق الحياة باسم حفاظنا على الحياة، لكن شعرية الجسد لدى محمد آدم وعبر مسار شعريته تمارس حفراً معرفياً وحسياً وجسدياً في صميم وأكناه الأشياء والأحياء بوصفها حداً معرفياً وأنطولوجياً معاً، إنه يحفر في جسد الحياة نفسه حيث يقف محللاً ومتأملاً في الدوافع الجسدية والرغبات الحسية التي تملأ الوجود من حولنا وتحجبها عنا الأيديولوجيات الثقافية المتعددة، لكن آدم يخترق جسد الثقافة بجسد الشكل الشعري، ((فلا مجال هنا لتصور جسد اللغة .... بمعزل عن طبيعة الأنظمة الثقافية والسياسية التي تربينا عليها والتي توجه عقولنا وأخيلتنا في

الحياة))[7]، لقد وعى كل من فرويد وماركس ونيتشه وبارسونز ولورانس الجسد ـ وضمنه جسد الكلمات والأسلوب إذ جسد اللغة يوازي جسد الحياة والثقافة ـ عبر تصورات ثقافية شتى، كانت ترى الجسد جزءاً من بنية الثقافة والمجتمع والذات والعالم، لقد كان الجسد عند فرويد مكمن الرغبات، وعند ماركس معبراً جدلياً يجسد العلاقة بين الحاجة الإنسانية والطبيعة من حوله، وعند نيتشه كان الجسدي والحسي بصورة عامة لا يسبقان الأنساق المعرفية والتصنيفات الرمزية للثقافة، وقد طور ميشيل فوكو هذا التصور النيتشوي ليرصد علاقات أوسع وأعمق "((حول علاقة الجسد بالمجتمع والتي تقوم على الفكرة التي مؤداها أن تحليل أساليب التحكم في الجسد الفردي والاجتماعي، وشكل حضور هذا الجسد في الحيز الاجتماعي يؤدي بنا إلى تحليل نظم المجتمع وأيديولوجيته، وأشكال بناء القوة فيه))[8]

إن جسدانية الشعر تولد الدلالات المعرفية والاجتماعية والسياسية والحضارية الكمينة الممكنة، فنحن نحيا الوجود عبر تجسدات شتى، ونعي أنفسنا عبر تجسدات لغوية متعددة، نحن نعي حقاً بالجسد وحسية الحياة، ونغترب أيضاً عندما نتجرد من جسد العالم، أو يتجرد العالم منا، إن التصوير الشعري للجدل الفكري والروحي المتبادل بين نظرية اللغة المجردة في أذهاننا وبين قوة جسدانية التخييل الشعري، ولقد تنبه الفيلسوف الفرنسي "(باشلار) من قبل إلى نوعين من الخيال، الخيال الصوري، والخيال المادي الذي نحن بصدد توصيفه الآن في العالم الشعري لدى محمد آدم، يقول" باشلار": (على خلاف الخيال الصوري الذي يظل على السطح، ويعتمد إحداث المفاجأة، والتأثيرات القائمة على الظرف المحبب، والإبداع اللفظي، يغوص الخيال المادي إلى أعماق الوجود، وإلى قراره المكين، حيث يلتحم بالأبدية ويستقر في مصدر الديمومة، وينبوعها الأول، وإذا كان الخيال الصوري يقوم على العلاقات الظاهرية، والتشابه الخارجي بين الأشياء، فإن الخيال المادي هو نوع من الإلهام الحدسي، أو اللقطة المباشرة للمادة في الصور، وإذا كان الأول خفيفاً فائراً وحياً فإن الثاني ظليل كثيف وبطيء))[9]

إن الاستغراق في أعماق حسية اللغة وخصوبة الأسلوب فى بنية النص لدى محمد آدم، تجعله يطلق الشعر من عقال التعريف وحدود المصطلح إلى خصوبة وتعدد الإمكان التجسيدي المستقبلي للذات والثقافة والتاريخ مما يجعلنا ننطلق معه عبر البناء التخييلي لنجترح قوة أصالة الوجود، لاوهمية صبغية النسق الثقافي، فلا نفصل فى شعر محمد آدم بين العقلاني الحسي المتعارف عليه، وبين اللاعقلاني الروحي الطليق، وهنا تكشف قوة اللغة الشعرية الحسية لدى آدم عن عجز وزيف اللغة الرسمية العامة التي نمطها وصنفها ودجنها المجتمع في قوالب رسمية عامة محددة للدلالة – فهي تشكو من محنة التوصيل، والتمكن من التعبير الحي عن الوجود الحي، إن شعرية محمد آدم تنقلنا من حياة اللغة إلى لغة الحياة،نحن لانعيش جسد الحياة ومن هنا فنحن لانعيش جسد اللغة،بل نعيش بأرواح جديدة متوثبة وشقية تترنح دوماً في أجساد قديمة مترهلة ومتشققة. ومحمد آدم إذ يكف عن تداول اللغة العامة المجردة عبر لغته الشعرية الحسية يستبدل باللغة المعتادة المألوفة: (لغة عبر لغوية) أو ((لغة فوق اللغة))، أي لغة جسدية تعتمد الإشارات الجسدية الحية في استنطاق البعد المتعالي الميتافيزيقي للجسد الإنساني والثقافي والكوني معاً، فكلها عوالم يتوالد بعضها من بعض، ويتداخل بعضها في بعض في التحليل الأخير، والتخييل الشعري إذ ينزاح عن اللغة المعتادة، والتعبيرات المجردة، والمعاني العامة المشتركة، إلى اللغة التصويرية، أو لغة الصورة وجسدية الهيئة وحسية الحركة، فهو يعيدنا إلى الحقيقة الكلية الحية،التي ينبع منها أصل الأشياء والأحياء وكافة صور العلاقات الإنسانية الحية، وأقصد بذلك منطق الصورة، حيث كانت الصورة والمجاز كما يرى (ميشيل فوكو) :

("هو الأصل وليس الفرع، القاعدة وليس الاستثناء، فاللغة الأولى عند فوكو هي اللغة المجازية التي لم تكن تقوم على طبيعة الأشياء، بل كانت كلها صوراً تحول الجمادات إلى كائنات حية، وكانت المجازات هي الوسيلة الوحيدة للتعبير، وهي العبارة الحقيقية التي كان أصحابها يتوخون فيها مناسبة الألفاظ للمعاني على ما يظهر ذلك في الهيروغليفية"))[10]

وما يشير إليه " فوكو" أشار إليه كثير من المفكرين والفلاسفة والمنظرين الجدد للسرديات الجديدة خاصة رولان بارت وجيرار جينيت وتأكيدهم على نصوص الغبطة و اللذة، بعد أن صار النص السردي الجديد نصاً للكتابة لا للقراءة كما يقول بارت، و النص السردي الكتابي هو نص كلي جامع بتعريف (جيرارجينيت)، وعلى الناقد الجاد أن يتخلى عن جميع قناعاته الثقافية والجمالية والمعرفية والنقدية حتى يستطيع الاقتراب من حسية النص فى ذاته ولذاته بتعبير الوجوديين، ويحسن الإصغاء لعالمه المادي التخييلي التعددي الكلي الجامع، حيث التداخل التزامني البنيوي المتنامي المفتوح، بعد أن أفاد النص الكتابي القائم على الغبطة واللذة معاً من فكرة اللاتمركز والشبكة التفاضلية لدى جاك دريدا، ومن فكرة تعددية الأصوات واللغات في النص لدى ميخائيل باختين، ومن فكرة النص القرائي مقابل النص الكتابي لرولان بارت، وربما نلتقي هنا مع نص الغبطة واللذة مع بعض التصورات النقدية العربية القديمة خاصة مفهوم النصبة لدى الجاحظ، فالجاحظ يعده أحد الأركان الأساسية للبيان في نظريته عن البيان العربي إذ يرى ("النصبة)" - وهي فيما نرى في هذا البحث مفهوم دلالي حسي مرئي غير مكتوب - أحد مكونات الدلالة، والإشارة، وكان يعني الجاحظ (بالنصبة) ما أغناك عن الكلام جهاراً، ويكون مجرد نصبته أمام عيوننا اعتباراً، مثل حال جميع الموجودات الصامتة، كالأشجار، والأنهار، والسماوات والأرض، كلها تنطق بألف لسان، وإن عيت عن الكلام، ودون الدخول في تفاصيل ذلك، ومجاله نظرية الأدب، لا النقد التطبيقي، نرجع فنقول: إن الفن وحده هو القادر على الإمساك بوجودنا الناشط المتحول، وسط انفصالات الواقع، وتجزيئات العقل، وقيود الوعي، وسدود اللفظ، الذي نتسلط به كثيراً على الموجودات والأشياء من حولنا، لقد كان الشعر استنباعاً للغة أخرى صامتة غير مرئية ولا متداولة، لغة تنبع من جسد العالم والأحياء، تنبع من الصمت المبين، والصمت هنا ليس عجزاً عن الكلام والمواجهة، أو الانكفاء على الذات لجلدها من الداخل، بل الصمت أنشودة سرية كبرى للوجود يختزنها النص الشعري، وتعجز اللغة المعيارية الرسمية العامة عن تجسيد حدود مداها، الصمت تحضير

للكلام الساكت الفعال، عبر النص الشعري، وعبر كل هذه السياقات الشعرية لا يتحقق المعنى فى بنية النص دون تجسيد حسي، سواء فى جسد اللغة، أم في جسد النص، أم في جسد الثقافة نفسها نعرف ذلك كله من خلال قراءة التخييل الشعري لدى محمد آدم، يقول الشاعر في نصه عن ((مقام الجسد)):

إنه الجسد يشرح لي طريقته وقيامته

وعدد صلواته في اليوم والليلة وأهيئ له نفسي

والأرض

تنفرج عن أيقونة الجسد

بلامنازع أو قوة

كيف أعلن عن قيامة أخيرة وأصطفي من النار لغة وحيدة

لتكون مقامي أيها الجسد:

أخرج علي من مكمن حرج

وتصبب علي كاليواقيت

وتشبث بجنازاتي

وقل لي: أنا الأول والآخر والظاهر والباطن

فبيننا علامة ومواثيق على مانخفي وما نعلن

....

أأنت فرح بهذا أيها الجسد ومأخوذ

فلا يخاف عليك

أو يغار منك

إذن سأناولك أوجاعي

فناولني إذن خياناتك

ولاتخش علي من الغرق والفجيعة

أيها الجسد

كيف أصعد إليك وأنزل

وأصطاد سمكك الأخضر المتوحش

ولا أنتبه للغرقى وهم كثيرون

أيها الجسد:

كيف أفك رموزك

وأحصي عدد كلماتك وكمالاتك

أيها الغامق المصقول بالوجع والخيانات

أأنت غامق مثل الوردة

ومفتوح كالهاوية؟!!

يعلمنا شعر محمد آدم عن الجسد ماتكبته الثقافة الرسمية العامة، تعلمنا شعرية آدم أن الحياة تقافز حيوي حسي خلاق، تظل عقولنا ولغتنا وأنظمتنا الثقافية قاصرة عن الإمساك به مهما ادعت عقولنا ومناهجنا وتصوراتنا وتخيلاتنا ذلك!! الحياة مقاومة وتفلت وجماح، والتصورات معرفة وأنساق وثوابت وعرف عام، والعرف العام دمار عام، وفرق كبير بين منطق المعرفة ومنطق الحب والدهشة

والعرفان والتجريب، بالحب تتم المعرفة ولايتم الحب بالمعرفة، الحب هو قيمة القيم، فلانستطيع أن نعرف أي قيمة في غياب الحب لكن الحب قادر على تعريف نفسه بمعزل عن أي قيمة أخرى، وفرق كبير بين أن نعرف حد النشوة، وبين أن نكون فى حالة نشوة بالفعل، أن نقرأ عن الوجود، فتكون مسافة اللغة والرمز والوهم بين الذات القارئة والموضوع المقروء، وأن نكون الوجود نفسه دون وسائط!! هذا ماتجلى لمحمد آدم في ((مقام الوردة)):

أيتها الوردة

من علمك الأسماء

وأعطاك اللون السري

وهيأك وسواك

إلى أن يرث اللّه الأرض

على طاولة الروح

لماذا أيتها الوردة أنكشف عليك ولاتنفتحين عليّ؟!

أيتها الوردة

حين أتيناك سألنا صاحبة الحقل

هل عندك ورد حتى نتملاه

أو نحرسه أو حتى نعنى بسقايته

فأجابت صاحبة الحقل

وردي لايصلح للندمان ولاينكشف

وردي نعسان بين غلائله

لايمكن أن تلمسه كف!!

قلنا ياصاحبة الحقل

ائتنسي واحدة حتى نرعاها بسقايتنا

فأشارت نحو القائمة هناك على أطراف الغابة

عنق من عاج

أوراق من ماء أجاج

ورحيق من زبد يتصبب في كأس من زبد أخاذ رجراج

وسماء تتدلى ناحية الوردة

فتحاول أن تلمسها

لكن ذؤابتها

تتنضد عن شمس متبخرة في نهر غناج

مهتاج

قلنا ياصاحبة الحقل

الوردة قائمة في أقصى الحقل وهانحن نعاني من جرح الوردة

هل يمكن للوردة أن تنجرح على شريان الوردة

قالت صاحبة الحقل

الوردة شوك

والوردة شوق

والوردة فتك

وأنا

أنا وردي لايصلح لمصاحبة الندمان ولاينكشف

فهل يمكن أن تلمسه كف؟!

لقد استطاع محمد آدم في هذا النص من خلال الجوس التخييلي في ميتافيزيقا جسد الوردة أن يلاقي غيوب ومجهولات الحقيقة الجمالية والمعرفية، فالوردة تنفك عن حدود جسدها لتصير شوقاً وفتكاً، تصير خيطاً بارقاً من الكشف والدهشة يتأبى على الندمان والصحب، ولعل عنونة الشاعر لنصوصه بالمقامات الصوفية، يعيدنا إلى قوة الكشف والتجلي الصوفي لأكناه الجسد الكوني عبر حسية مخلوقاته وعيانية موجوداته، وتجربة التحديق الشعري في جسد الوردة هي تجربة التحديق في جسد اللغة والواقع والثقافة، فهل يمكن لنا أن نلمس ذلك من جديد؟!! نلتقي هنا التصوف والمعرفة والحس والتخييل والاستشراف في جسد الوردة، ومن ثمة تلتقي عوالم ومعارف متعددة ومتباينة ومتداخلة في صنع شعرية محمد آدم التي تتزلق من حد إلى حد وتتنامى في الجدل والتعدد والتشعب المنظومي المعقد، ومن هنا كانت شعرية محمد آدم ((خاصة في ملحمته الكونية الخالدة نشيد آدم)) تند عن الإخبار والمحاكاة والتفسير والتعقل، فهي شعرية العبور الصوفي المعرفي من حد إلى حد ومن مقام إلى مقام ومن قلق إلى قلق، شعرية محمد آدم إذ تتخلق باللغة، توهمك بأنها تتحقق داخل اللغة لكنها تدخل اللغة لتعلو عليها وتقيم هناك على حافة الغياب والمجهول والاستشراف والكشف والتحول والجوس والمغامرة، ومن هنا كان المشهد الشعري لدى محمد آدم صعب التفسير، بل مستحيل على التعقل الواضح المعتاد في رؤية الشعر والخيال، فدائماً نجد لدى آدم هذا التداخل التصويري والتعدد التركيبي والتصادي الأجناسي والعبور الحدي، حيث يتدافع المشهد الشعري بقوة التناص والتعارض والتداخل واللالتباس والتقطيع والتشظي والتفكك والتضام بغية تحقيل حالات تخييلية ومعرفية

وكونية لاتتوازى رمزياً والعالم المحيط بها، بل تتخلق جسداً جمالياً ومعرفياً بديلاً عن وهمية النسق الثقافي والسياسي، وهشاشة التاريخ الفعلي،وشبحية الإدراك السائد.

لقد باتت مفاهيم مثل: الموضوعية والتجريبية والعقلانية والنظام والمنطق، والمماهاة، وما ترسمه من صور معرفية ومنهجية ولغوية صلبة لمفاهيم: الذات، والهوية، والثقافة والواقع، واللغة، والوعي، والتذكر، في حاجة ماسة إلى إعادة فهم، بل إعادة بناء جهازها المفاهيمي من جديد في واقعنا الجمالي العربي المعاصر،فالحقيقة صارت تصوراً لغوياً وليست تجسداً وجودياً، صارت الحقيقة مفهوماً ثقافياً تعددياً، وإحساساً إنسانياً اختلافياً، وليست تحقيقاً عقلانياً مادياً بصورة مطلقة أو حتى محددة، وكل هذه التصورات الفلسفية والعلمية التجريبية والمعرفية الجديدة كانت تطرح أسئلة علمية ومنهجية ومنطقية نوعية جديدة مثل: هل العلم هو العلم فى ذاته فقط ؟ أم ثمة علاقة وثقة بين العلم وتاريخ العلم؟؟، وهل ثمة إمكان واقعي عقلاني تجريبي لبناء مفهوم للعلم نفسه؟ وهل تصور الوضعية المنطقية العلم على أنه بنيان موضوعي صارم، ونسق عقلاني محدد تصوراً دقيقاً؟ هل العلم ما نتمنى أن يكون كما نتصوره في إطار هذه العقلانية المحضة؟؟ أم العلم هو ذات إنسانية وهواجس سيكولوجية وتاريخية معاً، قبل أن يكون مادة خالصة، أوعقلاً محضاً، أوتجريبياً صرفاً!!، العلم الآن كل ذلك معاً وفي وقت واحد، وبات العلم هو الفعل العلمي لا العقل العلمي،صار العلم جسداً له أوار وخوار وأشواق ولواعج،بعد أن كان تعالياً عقلانياً تجريدياً صارماً!! إن الذات العارفة والعالمة تضفي غير قليل من عالمها الذاتي الخاص على ما هو موضعي عقلاني حتى ليتداخل العرفاني بالمعرفي والتصوري بالتصويري!! فأين حدود الموضوعية تماماً وحدود الذاتية تماماً؟ !أين حدود العلم؟ بل أين حدود الواقع والعالم أصلاً؟ أو قل من جديد ما هو العلم ؟؟ هل له وجود كتلي حسي تجريبي واحد؟؟ أم هو محض تأويلات رمزية نبنيها بتصوراتنا وأخيلتنا وفوضنا وتشوفاتنا اللهيفة لمعرفة المجهول!! هل نحن قادرون حقاً على إقناع عالم ما بنظرية في المعرفة تختلف بالكلية عن

نظريته هو في المعرفة على افتراض صحة النظريتين معاً؟؟، أم كل فضل الجهد وغاية الرجاء عندنا أن نستميله ـ وهو مفهوم نفسي تخييلي ـ إلى ماهو عقلاني موضوعي من وجهة نظرنا الخاصة أيضاً أوقل من وجهة نظر النظرية الخاصة بنا؟! أليس ثمة أساس نفسي مكين تبثه وتثبته روح العصر نفسها في إطالة أمد حياة تصور علمي ما على الرغم من تجاوز الزمن له موضوعياً وعقلانياً ومنهجياً؟؟ ولكنه لازال مسيطراً على تصورات العلماء ولا يستطيعون عنه فكاكاً ولا تحويلاً؟ كل التصورات العلمية والمنهجية السابقة تؤكد بأننا لانعيش فى عالم موضوعي حقاً، ولا نعيش فى عالم محدد ،ولا عالم واحد على المستوى الحسي المادي، ناهيك عن مستوى التصورات والتأويلات والتفسيرات، بل نعيش دائماً على حافة بناء للموضوعية والعلم والعالم، ـ إن صح التعبير ـ فنحن نبني الموضوعية والعقلانية والمنهجية بتصوراتنا المسبقة عبر أنساق الوعي والفهم والتذكر والاستشراف، وبالتالي تصير الحقيقة حقيقة بالقياس إلى تشييداتنا الرمزية لها وليس بالقياس إلى الوجود في ذاته وهنا بالتحديد مربط الفرس!! وهذا ما عرف لدى توماس كون بالصراع المتوتر والمتواتر بين النموذج القار والنموذج المتمرد عليه والذي تشترك في صنعه وتأسيسه عناصر غير قليلة غير عقلانية ولا موضوعية بل ينصرف معظمها إلى عالم النفس، وتفاصيل الوجدان، وهواجس الرغبات، وأشواق التخيلات، وربما مقامع الخوف أيضاً، إنه نسيج جد معقد من الرغبة – والرجاء – والحدس والخيال والتمني والعقل والتجريب،وهذه الكتلة الحسية التخييلية العقلانية الاستشرافية التعددية التداخلية هي المكونة لهذا النسيج العلمي المعقد والمتعدد والمتباين، إن التغير الجذري الذي طرأ على تصورات العلم ونظريات المعرفة كان له علاقات كبيرة بتصورات وجدانية ونفسية وشعورية كان محرماً عليها تماماً منذ وقت طويل جداً مجرد القرب من سياج العلم الرصين وما شاع حوله من أقاويل الرصانة العقلية والمتانة الموضوعية، والاتساقات المنهجية، والدقة المنطقية، وأن كل ماهو غير خاضع للمعمل ولا للعقل ولا للخيال ولا للشوق لا علاقة له بالعلم الحق من قريب أو بعيد، لكن لحسن الحظ قد تغير الفكر العلمي المعاصر تغيراً

جذرياً بعد أن أصبح تاريخ العلم وأحوال ووجدانات العلماء وتصورات حدوسهم ومطارحات خيالهم، لها كبير القيمة في بناء تصورات نظرية المعرفة في الفلسفات الغربية المعاصرة، بل صارت هذه الحقول المعرفية الجديدة تدخل حدوداً تأسيسية فى بنية العلم التجريبي وبالتالي الفلسفي والإنساني بصورة عامة، حتى وجدنا علماء وفلاسفة يتبادلون هذه التصورات في كتابات كثيرة وعميقة مثل كتاب (هيلين لونجينو) ((مصير المعرفة)) الذي ظهر عام 2002 / في أمريكا – وكتاب فيربند ((ضد المنهج))، وكتاب (بنية الثورات العلمية) لتوماس كوين، وكل هذه الكتابات المهمة في تصور طبيعة الفكر والمنطق والمنهج العلمي تتصادى معرفياً وفلسفياً ومنهجياً مع كتابات ميشيل فوكو عن حفريات المعرفة، وكتابات جاك ديريدا عن التفكيك، وكتابات ليوتار عن سياسات المعرفة.وسائر كتب مابعد الحداثة في الفلسفات الغربية المعاصرة على اختلاف توجهاتها ومناهجها. ومن هذا المنظور انتقل مفهوم المجاز إلى دراما الوجود بأسره، حيث تعلق بالعقل والمنطق، والروح، والحلم، والحدس، وطرق التعقل والتمنهج، وببنية الثقافة بأسرها، فالمجازات تحتقب العقل والوجود والواقع والنظريات وتعلو عليها في آن واحد، بل غدت صورة الحقيقة في أي شكل من أشكالها مجرد صورة من صور المجاز،فنحن مخلوقات مجازية منحازة شئنا أم أبينا، ولا نستطيع أن نفكر إلا تفكيراً مجازياً، وصار المجاز بنية تصورية قبل أن يكون بنية تصويرية، فالمجاز يتجاوز هنا حدوده اللغوية والبلاغية والثقافية والنقدية والبيانية بأسرها ليصير حداً من حدود الوجود وتأسيس الوجود، ويجب أن نستحضر نيتشه هنا ـ بعيداً بالطبع عن عدميته التي لاتلائم العقل العربي والقيم الحضارية العربية ـ الذي كان يرى الحقيقة حشداً مضطرباً من الاستعارات والمجازات المرسلة الحافلة بالتشبيهات الإنسانية، وبعيداً عن وعي الحداثة ومابعد الحداثة،نحن نقر هنا بصورة عامة أن ليس هناك وعي عقلي خالص، وليس هناك أيضاً إدراك حسي خالص، أو وعي غفل من أية شائية رمزية أيديولوجية،ليس هناك في هذا الكون شيء خالص لذاته،مامن شيء وإلا به شوب علاقة ما، فنحن لاندرك الواقع والذات واللغة والهوية، والتاريخ والثقافة

والنصوص الإبداعية إلا من خلال علاقة ما ترتبط بكل شيء وتنفصل عن كل شيء، ترتبط بصورة واعية ولاواعية بالتصورات النظرية الكامنة في الوعي، ولا نصف ماانراه إلا من خلال ما تمكن في وعينا المسبق من مفردات وتصورات ومشاعر وهواجس ومخاوف ورؤى، فالعقل العلمي نفسه لايرى إلا من خلال الكيان الجسدي لوجودنا الإنساني كله، بل نحن لانرى ماانراه بدقة من ظواهر جديدة، إلا من خلال ما تسمح به أو تزخر به أنماط الرموز الثقافية الكامنة في الوعي واللاوعي، يقول فيرا أبند في مقاله ((مشكلات المذهب التجريبي)) (1965) (إن ما هو مدرك يتوقف على ما هو معتقد، وإن كل نظرية علمية تفرض خبرتها الخاصة، ويقول في دراسته ((التفسر والرد والمذهب التجريبي) إن النظريات العلمية ليست سوى طرق معينة للنظر إلى العالم، وإن تبني هذه النظريات يؤثر على توقعاتنا وخبراتنا ويقول توماس كون في كتابه ((بنية الثورات العلمية)) (1962) إن العلماء خلال الثورات العلمية يشاهدون أشياء جديدة ومختلفة حين ينظرون بالآلات المألوفة من المواضع نفسها التي نظروا منها من قبل، إذ إن تغيرات ((النموذج الشارح **PARADIGM**)) تجعل العلماء بالفعل يشاهدون عالم أبحاثهم الخاصة بطريقة مختلفة تماماً عن ذلك العالم الذي كانوا ينتمون إليه من قبل))[13]، ووفق التصورات السابقة فإن ما اقترحناه من نشاط اللاتحدد الجمالي(المعادل اللاموضوعي) في بنية المجاز بصورة عامة أياً كان لونه وشكله ونمطه وغايته، نراه يعمل بنفس القدر قدرة نشاط التحدد الجمالي (المعادل الموضوعي) والنقدي السائد لدى النقاد والأدباء شرقاً وغرباً، وأن بلاغة الشواش واللامعنى والغياب الكمين وطاقات التخييل اللاخطي كانت تتأصل بذات قدرة بلاغة الاتساق والمعنى المتعارف عليه، وكانت جماليات الصمت والمجهول تعمل بصورة جدلية تعددية خلاقة في مناطق السر والغياب والمجهول والتعدد والتشذر مع جماليات القصد والإظهار والسائد، فالظواهر اللغوية، والمعايير الجمالية والمعرفية والبلاغية الرسمية العامة تضمر بقدر ما تظهر، وتمحو بقدر ما تثبت، وتحاول فرض تعميم تجريدي للحس والتخييل، وربما كانت مناطق الظل أصفى ـ ولاأقول أسطع ـ ضوءاً

من مناطق الشموس، ومنطق تعدد المعنى واختلافه أقوى من انسجامه وواحديته، ومنطق فراغه الزماني والمكاني أخصب من منطق الامتلاء الأيديولوجي الصارم، إن مفهوم التخييل التشذري التشعبي يفتح أفق المجرى الأنطولوجي والأبستمولوجي للكائن والمعرفة والزمان والمكان، ويجعل من مفهوم التخييل حقلاً سيالاً بالانفتاح والتعدد وتشعب المنظورات والتأويلات، ومن ثمة فإن احتياجنا لمنهاجية تعددية بينية تداخلية ولا أقول كما هو شائع (فوق منهاجية، أو عبر منهاجية ـ أو حتى حساسية جديدة) بل نقول بمنهجية لا اتساقية، أو منهجية تشذرية تشعبية ضامة، منهجية تفتيت لمراكز العلم والتذكر والهوية واللغة والتخيل، وتجعل من كل أولئك حركة بناء لا تنتهي من التصدعات والإحالات والممكنات والاختلافات وكأن الكتابة هجرة أبدية لمفهوم الحد وسيولة أبدية عابرة في متاهات الإمكان والتركيب والهدم وإعادة التأسيس، ومن ثمة كان احتياجنا العربى المعاصر حثيثاً في خلق تشذر تخييلي ومعرفي لإعادة بناء الواقع العربي المعاصر الذي تكلست مفاهيمه في العموم والشمول والتمركز السياسي والاجتماعي والثقافي والجمالي، يجب أن يحل شيء من المطلق في النسبة وشيء من التناقض في الاتساق الاستدلالي، وشيء من التصدع في الانسجام الدلالي العربي العام، ويجب أن يحل مفهوم العبور التخييلي والمعرفي محل الاستقرار الجمالي والمعرفي، ويحل منطق الفجوات والثغرات محل منطق التمركزات والاتساقات، ويحل منطق اللانظام داخل منطق النظام، فالحدود المعرفية الكثيفة بالرؤى والمعلومات والممكنات أقوى في إنماء قوة اللانظام التي تجعل من اللغة والخيال والكائن حقلاً بل حقولاً توالدية من الوعي لا عنصراً منعزلاً من الدلالة، وانفتاحاً من الاحتمالات لا تطابقاً أحادياً مع شفافية المفهوم والمعنى، وتوسيعاً أبدياً لمجرى الزمان ليسيل في عفوية غير حصرية ولا منضبطة، فلا يتطابق أبداً مع ذاته فينغلق أفق المستقبل، ومن هنا يجب أن تعمل ((المنهجية اللااتساقية)) جنباً إلى جنب مع ((موضوعية منهجية اتساقية)) – وكلتا المنهجيتين تعمل من خلال الآخر لا من خلال وقوفه كطرف نقيض للمنهجية الأخرى، حتى ليصير ضرورة علمية لا مفر

منها سواء في منهجية العلوم الإنسانية، أو التجريبية أو التطبيقية.ومن باب أولى الجمالية،وبالحري فى منهجنا النقدي المعرفي المنظومي التعددي الذي اقترحناه مراراً لدراسة الجماليات العربية الجديدة، على أن يتم ذلك وفق منهج نقدي معرفي تعددي تدريجي احتوائي، ينظر إلى قضية المجاز في الآداب - شعراً وسرداً ومسرحاً وسينما وفنون شعبية، وخبراً، وسيرة ذاتية، وشهادة إبداعية - لابوصفها بنى تخييلية تجاورية وكفى، بل بوصفها بنى معرفية ومنهجية تداخلية تأسيسية وجودية في المقام الأول، فالمجاز بهذه المثابة هو آلية معرفية ووجودية قبل أن يكون آلية جمالية بيانية وكفى في النظر إلى الأشياء والعالم، ذلك أنه كلما استحدث مفهوم علائقي جديد في الوعي بالوجود استحدث معه على الفور مفهوم مجازي جديد أيضاً . لقد رأى العلماء والنقاد والمفكرين الجادين أن علوم اللغويات واللسانيات المعاصرة تعد من أهم المنجزات المعرفية في القرن العشرين،وأن اللسانيات كما يقول (كلود ليفي شتراوس) لعبت في بنية العالم والعلم المعاصر ما لعبته الفيزياء الحديثة في بنية المادة والعلوم الطبيعية،حقاً إن اللغة كما قال هيدجر هي بيت الكائن،بل هي بيت الوجود،فهي الهوية والذات والواقع والمعرفة والمنهج والمنطق، فلا يوجد ولايتخلق شيء في هذا العالم خارج بنية نظام اللغة أياً كان شكل هذه اللغة،ولم يعد تفكيرنا في المجرد محايداً وموضوعياً كما كنا نتصور حتى وقت قريب في التصورات اللغوية السوسورية والفلسفات الوضعية والعقلانية والمنطقية،بل صار الإدراك الإنساني نفسه لايتم بمعزل عن فكرة التجسيد المادي بجسم الإنسان وبجسم العالم نفسه، فنحن نمارس الإدراك ونبنيه من خلال جيش جرار من العقلانية والمجازية والقصص والتمثلات والأهواء والأحلام والرغبات، فلاينفصل قولي(إني أفكر) عن قولي (إني أرغب) عن قولي (إني أتخيل) عن قولي (إني أجرب) وبصورة كلية تعددية في وقت واحد، فالقول نفسه يحتقب في ذاته بصورة مستقلة كل هذه العوالم الإنسانية المتداخلة والمتصادية التكوين والرؤى والاستشرافات، ومن ثمة صارت ((السياقات التخييلية التعددية البينية المعقدة لبنية الوعي الفني)) لدى محمد آدم هي البديل لا - الموازي - اللغوي والجمالي والمعرفي

والاستشرافي لبنية الوجود من جهة، ولبنية النصوص الأدبية من جهة أخرى، وبنية استشراف الممكن والمستحيل من جهة أخيرة، إن اهتزاز مفاهيم العلم والمنطق والعقل والواقع والهوية واللغة دفعت المناهج العلمية التجريبية والأشكال الجمالية الإنسانية معاً إلى إعادة بناء مجالاتها المعرفية من جديد، وبات البحث عن أشكال جمالية جديدة تكون أكثر دمجاً وتراكباً وتداخلاً أمراً ملحاً للغاية، وصارت جماليات التفكك والتبعثر والتناثر والتعدد والتناسل هي الموازي الجمالي السردي في إعادة بناء مفاهيم الخيال والجمال واللغة والشكل، وفقدت الأشكال الجمالية اتساقها الزمني التعاقبي ودخلت في آفاق تشكيلية بينية موارة بالتشكيل واللاتشكيل معاً، وكأن ثمة (أشكال تكوينية) للبدهيات الشكلية في الشعر والفن بصفة عامة، واحتلت فكرة الكتابة (الفضاء)، أو (الكتابة الخلخلة - التخفي - الالتباس والمراوغة - المدار الحر في اللعب على الدال في ذاته - وإحلال فكرة (الكتابة النص) محل فكرة (النص الأثر)، وصارت ((شعريات الخطاب وشعرية الكتلة النصية أوالنص الجامع)) كما تصور جيرار جينيت، هي المرشحة لبناء مفاهيم جديدة للشعرية المعاصرة تتجاوز به تقنيات النص المغلق إلى رحاب النص الدينامي الجدلي المفتوح، الجامع بين فنون السرد والمسرح والسنيما والأداء الشعبي وفن العرض وتعددية الأصوات وتزامنها التشكيلي، وتداخلها البنيوي المفتوح، حيث تتبع الشعرية من مناطق التفكك والخلل وضلال التأويل، وفجوات الإمكان، وثغرات الاحتمال، وعبور التشعيبات المعرفية وبزوغ الجماليات التحققيلية التي يتنامي بعضها من بعض، وظهور مفهوم بينية الشبكات المجازية، ولاعضوية التناسل المجازي، وبناء العناصر ضد الواقعية القادرة على سلب ونفي بنى الواقع الأيديولوجية، كل ذلك صار في حاجة إلى إعادة بناء مفهوم الشعرية في النقد العربي والغربي المعاصر، ولقد تبدى لنا ماطرحناه هنا من مفهوم (شعرية الفضاءات السردية البينية) ملائماً في تأصيل هذه الشعرية إلى حد كبير، وما تؤسسه من ((جماليات لازمنية مفرطة))، قادرة على المقاومة الجمالية والمعرفية للقوى المتعاظمة للأشياء وتسليع الوجود الإنساني، ومقاومة الأفكار السياسية والاجتماعية

والثقافية الكبرى التي تغرب الواقع العربي المعاصر عن ذاته وأهدافه ومقاصده الحقيقية النابعة من حميمية جسده الثقافي الخاص به، وشعرية الفضاءات التشذرية التشعبية، تضاعف الإحساس بالوجود واللغة والخيال، وهي قائمة دوماً في مناطق الفجوات المعرفية، والثغرات الجمالية ضد الواقعية، والفراغات التشكيلية النامية على التخوم المجهولة الصامتة بين الحدود المعرفية والجمالية والمنطقية والكونية والاستشرافية، حيث ينكتب الوجود والواقع واللغة والشعر بالعدم، بمثل ما ينكتب بالإيجاد، وانفتاحية الجدل الجمالي المتحرك بين كافة الحدود التشكيلية فيقع بينها وفوقها في آن، وكأننا بصدد أشكلة معرفية وجمالية مستمرة ودائمة العبور لكافة تكوينات الأشكال الجمالية السابقة، فالكتابة (الآن وهنا) عبور أجناسي، وتعدد تشكيلي، وعبور شبكي تشعبي، وإمكان تجريبي مستقبلي، لا يبني مجاله الجمالي والمعرفي من جديد، الكتابة كتل فضائية تعددية تشعبية تشذرية تداخلية، تتنامى عبر مجرات معرفية ولغوية وجمالية ومنطقية وفلسفية وكونية شبكية تتراكب من النسق واللانسق معاً وفي وقت واحد، الكتابة فجوات وثغرات وإرجاءات واشتباكات واستباقات، الكتابة حد أقصى للشكل والهوية واللغة والتعريف والمفهوم، أوقل هي تفكيك مستمر وعبور دائم لفكرة الاستقرار والتطابق والانسجام والتوحد، الكتابة إقامة تشكيلية غير مستقرة عابرة دوماً على التخوم والثغرات والممكنات، وليست إقامة مستقرة في الحصون الجمالية الراسخة وتقاليد الكتابة المعهودة، الكتابة التشذرية التشعبية شغل على ذاتها فهي لاتحاكي منطقاً أو شكلاً أو مجتمعاً أو تقاليد جمالية من أي نوع، بل تحاكي منطق المقاومة نفسه، وتبني مقاومة جمالية تخييلية لكل ألوان الاتصال والتواصل الثقافي العام، أو قل إن الكتابة التشذرية التشعبية الدينامية هي إصغاء موضوعي ولاموضوعي معاً لفكرة الدال الوجودي اللامتناهي، الكتابة التشذرية التداخلية التشعبية تحقيل للتخييل، وتكتيل للمعارف، وعبور للحدود، وترام للمغيبات المجهولات الممكنات، إنها بكلمة واحدة ((حساسية لازمنية مفرطة)) ولامفر هنا فيما نرى من إعادة بناء هذا المجال الإدراكي الجديد

لما أسميناه في دراسة سابقة لنا علم (شعرية الفضاءات السردية البينية) لدى الكتاب الجدد سواء في مصر، والوطن العربي كله، ولو أفدنا هنا من المفهوم الديريدي للغة القائل باستحالة حضور المعنى بين الدال والمدلول إذ ثمة تزلق إرجائي أو تأجيلي لانهائي يقع على الحدود بين لانهائية الدال ولانهائية المدلول، خلافاً لما كان يتصور علماء اللغة الذين رأوا اللغة بنية عقلية ومنطقية متجانسة مثل تشارلز بيرس وفرديناند دوسوسير، ولوي هيلمسليف، وجاكبسون من بعد، فليس الوجود والعلم عقلاً محضاً وبالتالي لم تعد اللغة المجسدة للوجود والعلم عقلاً محضاً، بل هناك كما يتصور ديريدا تزلق لانهائي غارق في المنطقة البينية الغامضة بين الدال والمدلول، حتى ليتزلق الدال على الدال إلى مالانهاية، مثلما يتزلق المدلول على المدلول إلى ما لا نهاية أيضاً، حيث يحيل الدال إلى دلالات سابقة أو آنية أو مستقبلية لاحقة بصورة كتلية تعددية تداخلية وفي نفس الوقت، وكذلك كل مدلول يستغرق في ديمومة زمنية برجسونية لاتنتهي بين حاضر الماضي وحاضر الحاضر وحاضر المستقبل، بما يجعل بنية الدلالة تنحصر في دلالة التفلت والتقطع والتقاطع والحلم والترامي والتعدد والتشعيث المتضام، والتشتت الواعي، والتداخل البيني الملتبس، لا دلالة الحضور والتعين والاكتمال، ولعل ماقصد إليه ديريدا هنا فيما يتصل بمتاهة القصد والمعنى، قد قصد إليه من قبل جاك لاكان حين نقل مفهوم اللاوعي الفرويدي بوصفه متاهة نفسية مظلمة قبل تاريخية، إلى تداخل بنية هذا اللاوعي اللغوي البنيوي الكامن ببنية الوعي اللغوي الظاهر، حيث يحكم تداخل اللاوعي بالوعي أنظمة مركبة معقدة من الإنبناء اللغوي الترميزي الذي لاينتهي أبداً، فتتكلمنا اللغة أكثر مما نتكلمها، فنحن موجودات ومصنوعات لغوية في المقام الأول والأخير، وهذا التصور النفسي البنيوي اللغوي لبنية الوعي البشري بعدما قد حل في بنية اللاوعي، أو حلول اللاوعي في الوعي، قد نفى كل تصور ثنائي لرؤية الواقع والحقيقة، أو أي صورة من صور المعرفة والتمنهج والممارسة، وفي أي صورة من صورهما السائدة، ونراه قد نفى أيضاً أي تصور أحادي للمعرفة والتمنهج والممارسة وأرانا العلم والعالم يتحركان بمنطق الكتلة المعقدة الحية لا بمنطق

العناصر المتجاورة أو حتى المتفاعلة، وقد بلغت هذه الصورة المنهجية المعقدة حداً كبيراص من التداخل والتعقيد والتعالق فيما تجلى لدى دولوز وغواتاري في كتابهما((ألف وجه)) حيث اللغة ـ والعالم والواقع والمعرفة والمنهج بالطبع ـ لا تسير وفق نظام هندسي محكم ومغلق ومتكامل، بل اللغة هي صورة العالم نفسه الذي لاتنتهي غرائبه، فاللغة مكمن عمل معقد من التناقض والتصارع والتدافع والتعالي في صورة أشبه بصورة ((الجذمور)) وهو الجذر المتوحش الذي ينبت في كل اتجاه وبصورة فوضوية حية، حيث لا تعني الفوضى العدم بل هي التكاثف المعقد دون تحدد شكلي بعد، أوقل هي الحياة نابتة جامحة خارج أية ممارسة معرفية منهجية، ولعل شيئاً من هذا يجب أن يحدث برأينا في تطوير بل تثوير الوعي النقدي والمعرفي والجمالي بواقعنا العربي المعاصر، بما نراه ينفي أي تصور أحادي للمعرفة والتمنهج والممارسة واللغة والهوية والشعر، ويرينا الفن والعلم والعالم تتحرك جميعاً بمنطق الكتلة المعقدة الحية لا بمنطق العناصر المتجاورة، أو حتى المتفاعلة، فاللغة الجذمورية هي صورة العالم نفسه الذي لاتنتهي غرائبه، ولعلنا نقتبس هنا معنى اصطلاح الجذمور لدى ديلوز وجواتاري لنقفز به من وصف الحالة الوجودية للغة إلى وصف النص الإبداعي، ووصف مايجب أن يتحلى به الوعي النقدي الجديد في منهجيته الجدلية النشطة عبر التعدد والتداخل والتنامي والترامي ((لنلخص السمات الأساسية المميزة للجذمور أو الساق الجذري: على النقيض من الأشجار أو جذروها، يربط الجذمور أية نقطة بأية نقطة أخرى، وليس من المحتم أن ترتبط سماته بسمات من طبيعة واحدة، إنه يمنح حرية الفعل والتفاعل لأنظمة متباينة تماماً من نظم المعلومات، بل يمنحها كذلك لنظم من غير نظم العلامات، ولايمكن اختزال الجذمور وحصره في قانون الواحد أو قانون المتعدد، ... إنه لايتكون من وحدات صغرى بل من أبعاد، بل هو يتكون من اتجاهات متحركة، وليس من بداية له أو نهاية، بل دائماً ما يكون له وسط (بيئة ـ محيط)، منه ينبت ومنه يتفرع متجاوزاً حدوده .... عندما يغير عدد كبير من هذا الشيء أبعاده تتغير طبيعته أيضاً، أي يمر بطور يتبدل فيه شكله، إن الجذمور نظام غير

ذي مركز أو تدرج هرمي، كما أنه ليس بنظام من العلامات، وليس له قانون عام،أو ذاكرة منظمة، أو جهاز مركزي ذاتي الحركة، ولايعين طبيعته إلا انتقاله من حالة إلى أخرى.... ودائما ما تجد هضبة في وسطه، وليس في بدايته أو نهايته، إن الجذمور يتكون من عدد من الهضاب)) [14]

إن هذا التوسيع المعرفي والمنهجي والتجريبي الرحب لمفهوم الوجود والحقيقة واللغة والهوية والتذكر، هو توسيع لحدود التخييل والجمال والإمكان البشري في الحفر الواقعي الآني، والتوقع المستقبلي التجريبي الخلاق؟ بحيث نقع داخل الواقع وخارجه،وداخل اللغة وخارجها ،داخل الشكل وعبره أيضاً، بحيث نعمل دوماً من خلال داخل الخارج وخارج الداخل معاً وفي وقت واحد ،حيث تقبع كتلة الحرية في أعماق صميم الواقع، وتقبع كتلة المستقبل في أعماق صميم الحاضر، فيعاد تعريف الواقع بما هو واقع متجاوز أو بسبيله دوماً لجدة التوقع، ويعاد تعريف الحاضر بوصفه إمكاناً متجدداً للحضور، مما يمكننا من استعادة الثراء المذهل الغائب للوجود والواقع واللغة والجمال والتاريخ والثقافة، إن شيئاً من ذلك يجب أن يحدث في تطور وتداخل وتعقد بناء النظريات النقدية العربية المعنية بوعي النص والواقع واللغة، بكل كوثرتها المعرفية والمنهجية والإجرائية الداخلية والخارجية والاستشرافية معاً، بما ينقل التنظير المعرفي والتشكيل الجمالي لفكرة ((التحقيل التخييلي والمعرفي))، ففي داخل كل نظرية معاصرة نظرية مؤجلة تترامى دوماً وفي وقت واحد صوب الماضي والحاضر والمستقبل،ومن هنا ننقل الاختلاف الأبدي بين الدال والمدلول لدى ديردا إلى الاختلاف المعرفي والمنهجي والإجرائي بين النظرية والنظرية، والنظرية والواقع، والواقع والنص، والنص والتاريخ، فكل نظرية نقدية تحمل حمولاتها المعرفية والمنهجية بالقياس إلى مرجعيتها النظرية والجدلية والتاريخية، وهناك تعدد لا ينتهي من المرجعيات المعرفية والجدلية والاجتماعية والتاريخية في الواقع،وبالتبعية هناك صور لاتنتهي في العقل والعلم للواقع وللحقيقة، ومن ثم يجب أن ننتقل من فكر الانعزال والاستقلال إلى فكر التحقيل والتكتل والترامي والتداخل والتعالق أي نحاول أن نخلق منهجية الكتلة لا

العنصر، وجماليات تناظم النظم والأنسقة لاجماليات تفاعل العناصر والأصوات، حيث يتنامى الشكل بالحدث والحدث المضاد بالحدث الممكن بالحدث المستحيل معاً وفي وقت واحد!! و يتنقل المعنى من مكان خارجي إلى مكان داخلي إلى مكان افتراضي معاً وفي وقت واحد!!!، وكأننا إزاء زمنية لا زمنية ومكانية لا مكانية أي أمام ((جمالية كبرى مفرطة)) في تعدد صور واقعيتها وشكول تخييلاتها، حيث تتداخل الأزمنة والأمكنة والسرود واللغات وأبنية التشكيل الدائرية المشعثة المتضامة التي يتنامى بناؤها من النص والقارىء والتقاليد المتوارثة والمستشرفات الجمالية المستقبلية معاً، حيث تتهاوى أشكال ومفاهيم التماسك والتعاقب السببي، والنمو العضوي الداخلي، وينهار مبدأ الإيهام بالواقع فالواقع نفسه صار مكوناً من قوة احتمالية النسق، مقرون إلى قوة جسارة اللانسق معاً، الواقع الجمالي يتناسل عضوياً ولا عضوياً، يتضام ليتناثر، ويتناثر ليتضام من جديد في إطار إدراكي أكثر وعياً ومعرفة وتخييلاً، وبهذه المثابة التخييلية التحقيلية الجديدة والمدهشة من التركيب الخيالي المبتكر، يحاول الفن لدى الأدباء الجدد في مصر توسيع حدوده التشكيلية والمعرفية فينقل حد الشعرية من نسقية العناصر إلى تداخلية الأنواع التي نصك لها ما نطلق عليه هنا مصطلح ((الخيال التعددي البيني المنظومي)) أو((الخيال الموسوعي التشعبي))، القائم على النهج الجدلي البيني المنظومي (**System Approach**) حيث لا يكتفي هذا الخيال بفكرة العلائق الجمالية والمعرفية الكامنة بل يتجاوز ذلك التصور للخيال ناقلاً حده الجمالي والمعرفي الجديد من التركيز على فكرة العناصر المكونة للمنظومة الجمالية الواحدة، إلى فكرة الأنساق العلائقية المنظومية البينية التي تربط بين وفرة من الأنظمة الجمالية والمعرفية المتعددة والمتباينة، فتتبادل حدها التأسيسي التكويني والجدلي معاً من داخل حدود جمالية ومعرفية وتخييلية متنوعة ومتباينة ومستشرفة، فهي شعرية ناظمة للنظم أو قل شعرية تتناظم النظم ولا تكتفي بمجرد تركيب العناصر، بل تنقل فكرة التركيب إلى فكرة التحقيل بمعناها الفلسفي الواسع في الفكر الفلسفي المعاصر، وبهذه المثابة ننتقل إلى ما نصك له

مصطلحاً جديداً هنا نطلق عليه ((مهرجة التخييل التشعبي))، وهذا التجادل التركيبي البيني للأنظمة المتخالفة والمتباينة والمستشرفة، تنقل حدود الخيال في الفن بصفة عامة والشعر بصفة خاصة من فكرة العناصر المتفاعلة إلى فكرة العوالم والأنظمة المعرفية والجمالية التعددية المتداخلة، وتنقل حدود التصوير الفني والشعري من فكرة التعاقب التخييلي في بنية النظام النصي الواحد، إلى فكرة ((التزامن المعرفي والتخييليي البيني التشعبي)) بين أنظمة نصية ومعرفية وفلسفية وكونية معقدة عبر حدود جمالية نوعية متباينة، تنتفي معها السببية المنطقية، أو الوحدة الموضوعية أو الفنية للخيال،وينتفي مفهوم الإيهام بالواقع، كما تنتفي معها بنية خيال العناصر القائمة على الوحدة الفنية بكافة صورها سواء تمثلت في بنية الانسجام والاتساق أو التناسب والإحكام إلى آخر صور بناء النص في الخطاب الشعري المعاصر، لتنتقل نقلة نوعية إلى بنية خيال المنظومات، القائمة على الانقطاع والفجوات والتداخل بين أكثر من حد جمالي نوعي، وبذلك تتفتت الوحدة الفنية الموضوعية في بنية النص الشعرى بكافة صورها البنائية سواء كانت بينة نصية غنائية أو سردية أو درامية أو مسرحية، لتحل محلها الوحدة المنظومية التداخلية لبنية النص الشعري،وهي صورة أشبه بصورة السببية الدورية في بنية العلم التجريبي المعاصر التي ترى السبب والنتيجة متداخلين متجادلين في وقت واحد، بما ينفي فكرة التسلسل المنطقي بينهما، ومن هنا تنتقل لخيال الشعري من الكتلية إلى اللاكتلية، ومن التعاقبية إلى التزامنية المنظومية، وافتراض النظام التخييلى الشبكي القادر على استيعاب التفاعل الجمالي الخلاق بين الأنسقة الجمالية المختلفة في أنواع الخطابات الجمالية المتعددة والمتباينة التي تسري في جسد النص الشعري. ولعل فكرة الفضاءات السردية البينية التي نطرحها في هذه الدراسة هي من أفضل الأشكال الجمالية التركيبية استيعاباً وسيطرة لفكرة التحقيل التخييلي والمعرفي التي نطرحها هنا بناء على استقراءات جمالية تجريبية عديدة في الواقع الجمالي العربي والغربي المعاصر، ،ففكرة السرد نفسها قائمة على مبدأ المضاعفة الوجودية والواقعية للمعنى والدلالة والشكل،فنحن نسرد

ونـروى لنكـون أكثـر حيـاة وأوفـر خيالاً ،وآصـل استـشرافاً ، وإذا تحققنـا مـن هـذه المنهجية التخييلية السردية المنظومية التداخلية نكون قد قفزنـا ـ إلى مانقترحـه هنـا في هذه الدراسة ـ إلى الأنموذج الجمالي والمعرفي المنظومي التعددي البيني التشعبي القـائم علـى التـداخل والتـشعيب والغمـوض والتفتـت والتكـسير والتعـدد والتـزامن والترامـي، والموسـوعية التخييلية ،والتـشعب الجمـالي والمعـرفي والاستـشرافي البنيـوي الدينامي المفتوح لكافة أنماط العلاقات والأوضاع والممكنـات والمستحيلات، وخلق منظومـة علميـة احتماليـة سـردية تحـدوها الرغبـة اللاهثـة في تجـاوز كـل التقاليـد والتصورات والأنساق والأيـديولوجيات والنمـاذج المعرفيـة التكوينيـة الـسائدة لإعـادة تأسيس آفـاق معرفيـة شـبكية جـد مبتكـرة ومدهـشة في توازيهـا وتفتتهـا وتعـددها وتزامنهـا وتداخلـها في وقـت واحـد ،وأظن أن فكـرة الفـضاءات الـسردية البينيـة هـي المرشـحة بجـدارة الآن أكثـر مـن أي وقـت مـضى في اسـتيعاب الـشروخ والفجـوات والثغـرات القابعـة في بينيـة المنطـق الغـائم، واحتماليـة الحقيقـة ،وتكـوثر حـدودها وتراميهـا وتداخـلها ،من أجـل مقاربـة بنيـة الواقـع ذاتـه ولذاتـه بعيـدا عـن أي تعتـيم دلالي أو تلوث دلالي رمزي،هذا الواقع الذي تتمثل ذواته المادية التعددية والأسطورية (مفهوم الواقعية الجمالية الكبرى) فينا بعيداً عن أية تاريخية لغوية فكرية سياسية تمثليـة لـه في نظرياتنـا أو مناهجنـا ، تحـاول تحجيم الواقـع وتـأطيره وتدجينـه، وهنـا تصبح المهمة الأصيلة الأولى للفن والفكر والمنهج والخيال أن يجدفوا جميعاً بصورة منظمـة ضـد كافـة أشـكالهم الجماليـة والمعرفيـة الـسابقة، في ذات اللحظـة الـتي يحاولون فيهـا بنـاء مجـالات وجـودهم وتـصورات الواقـع مـن حـولهم في صـورة معرفيـة تجمـع بـين العقلـي والحـسي والحدسـي والحلمـي والتجـريبي والاستـشرافي في ربقـة واحدة ،وبـصورة معرفيـة منهجيـة تعدديـة تداخليـة توحـد بـين النـسق واللانـسق، حتى نخضع لمنطق واقعنـا بالفعل، ولمنطق معاناتنـا لـه وفيـه أكثـر ممـا نخـضع لمقتضيات آليـات تفكيرنـا عـن الواقع، ولطرائـق مناهجنـا في تعقلـه ووعيـه ،وليس ثمـة إطـار تـشكيلي تـشذري تعـددي خـير مـن إطـار ((شـعرية الفـضاءات التـشذرية البينيـة)) لاسـتيعاب وصـهر ودمـج هـذه الحـدود المعرفيـة والجماليـة المتعـددة والمتباينـة

والمتصادية، بما يهيئ الشكل الجمالي الجديد اكثر من أي وقت من القدرة على الفرار من وهمية الأفكار وتناقضها وشبحيتها وخبثها المعرفي في المراوغ، مستقرئاً تشعبية وتشذرية الأشكال الجمالية اللامتناهية من حد الوجود لا حد الثقافة، ومن كلية حيوية الجسد لا من تجريدية النسق، ((إن الكتابة الجديدة هي استنساغ للوجود لا استنساخ له))، بما يساعدنا على أن ننحل في بنية الأشياء والموجودات والمعارف في ذاتها بعيداً عن أي معيار أو تصنيف، حيث تسبق في هذا الواقع المسببات التجريبية، المسببات اللغوية الإنشائية فينبع الفكر من رحم التجارب لا من رحم اللغة، وكأننا نمسك لأول مرة بجسد الواقع والوجود فيتمدد أمامنا كالأسطورة، بوصفه حقيقة أسطورية لاتنتهي عجائبها، لابوصفه واقعية سحرية تخييلية بل بوصفه عياناً يومياً كتلياً مادياً محضاً يتوالد تعددياً وانفتاحياً وحركياً، في البياض الوجودي الخالص (الوجود على بياض) من أي شوبة رمز أو تسلط أو تدليل، وهو أمر يدفعنا دفعاً لكي نرى ونعرف ونمنهج حقاً من جديد على مقربة ومبعدة من أنفسنا ونظرياتنا معاً وفي وقت واحد، فنبتدع ((منهجية مسرحية تغريبية)) تقف على مقربة ومبعدة في آن واحد، من جميع أجهزتنا المعرفية والمنهجية في القياس والاستدلال والبرهان والاستنتاج والتجسيد والتجريد والتجسيد، والتعقل والتنظير والتركيب والتأويل، بما تمثل جميعها قوى اجتماعية وسياسية وثقافية كامنة وظاهرة معاً، ذلك أن مفاهيم الواقع والذات والحقيقة والعالم والثقافة والخيال تراكيب حسية فعلية، وتصورات افتراضية تخييلية في وقت واحد، فثمة التباسات معرفية حقيقية كمينة في جسد الواقع والعالم، فليس العالم واضحا بل نحن الذين نبنى وضوحه أو غموضه، العالم ليس بديهيا بذاته ولاغامضا بذاته، بل نحن الذين نجعل منه كذلك، العالم والواقع ليس معطيات مسبقة بل صناعة رمزية أيديولوجية، نحن الذين نتواطأ على العالم لنجعل من القلق الفعال طمأنينة زائفة، ونمحو إمكان السؤال لصالح سائدات الأجوبة، فعلى الرغم من أن العالم يموج بالوقائع والحسيات والموجودات غير أن تصور جميع ذلك وإحداث نوع من التعالق التشكيلي واللغوي الشبكي بينها أو نوع من سيطرة القانون العلمي

الموحد لها، هو أمر راجع في النهاية إلى أحاسيس الوعي البشري نفسه، وطبيعة إدراكه اللغوي والمنهجي والإجرائي للعالم المحيط به، وطبيعة المرجعيات المعرفية والثقافية التي تشكل بنية الوعي واللاوعي معاً، وحدود قدرته على التنظيم والترتيب والبناء، إن كل ما في العالم لا يفسر أو يصنف ولا يحمل المعنى والقصد إلا عندما يدرجه الوعي الإنساني نفسه في نسق علاقة ما، تكون مكونة من طبيعة ومنهجية إدراكنا للعالم، ومن ثمة لامفر من إعادة ((أشكلة الأشكال الجمالية والمعرفية)) في الفنون عامة وفي علم الشعر خاصة، بما يجعلها أشكالاً جمالية تشعبية تشذرية قائمة على التصدع والاختلاف والاحتمال والانفصال الزماني الذي تتجلى فيه المعارف والتصورات والمفاهيم فضاءات تداخلية توالدية لانهائية من الرؤى والتأويلات والممكنات، بما يجعلها جميعاً حقولاً انفتاحية مشرعة على إنتاجية المعنى والخيال واللغة بما هم جميعاً عوالم غياب وتحجب والتباس وإمكان.

ولعل هذا يرجع بنا إلى وجوب مناقشة المعايير والتصورات المعرفية والمنهجية والإجرائية الكامنة في النظريات النقدية والفلسفية والعلمية التجريبية المعاصرة، وبالتبعية ـ المناهج والمدارس النقدية العربية ـ، بخصوص معيار التمييز بين العلم واللاعلم، أو الحد الفاصل بين الوهمي والحقيقي، وبين الموضوعي والاعتباطي والفوضوي، بما يحدث تغيراً جذرياً كيفياً لمفهوم الخيال، واللغة، والواقع، والحقيقة، والذات، والتاريخ، وطبيعة الوعي الإنساني، وبالتبعية اتساع مفهوم العلاقات المجازية في بنية الخيال من جهة، واتساع مفهوم البناء الفني من جهة ثانية، وتوسيع حدود أفق المستقبل من جهة ثالثة، ومفهوم بل ـ مفاهيم علاقة القارىء بالنص من جهة رابعة، وعلاقة النص بواقعه وتقاليده الجمالية من جهة خامسة، وبقدرة كل ذلك على استشراف جماليات كمينة ممكنة ومستحيلة من جهة أخيرة، وهنا لابد من إعادة بناء الإطار الإدراكي للوعي والفن والمجاز واللغة من جديد، وليس غير قدرة السرد وتعدديته وقوته الافتراضية على خلق البدائل والاحتمالات والثغرات والفجوات في بنية التشكيل الجمالي نفسه، إن جميع ذلك يعيد تأسيس حدود إدراكية نقدية وتشكيلية وسردية جديدة لمفهوم بنية المادة

والواقع والخيال والوعي من جهة، وتأسيس فنية علم جديد للأدبية يجمع بين القدرة على الموسوعية الجمالية والمعرفية والتخييلية من جهة ثانية، والقدرة على إجراء قدر من التنظيم والحرية المنظومية بين وفرة الحدود المعرفية والجمالية السابقة من جهة أخرى، وأظن أن المستقبليات الجمالية سوف تقضي سنين طويلة قادمة لتنظيم هذا المجال الإدراكي المعرفي والجمالي الجديد بخصوص تأسيس وتنظيم جدليات تركيبية بينية جديدة في علم النقد الأدبي، وفنية علم الأدب: نحن في أمس الحاجة - الآن وهنا - إلى تأسيس مجالات إدراكية جمالية ومعرفية جديدة تجمع بين القدرة على الموسوعية المعرفية، والحرية التخييلية، معاً وفي وقت واحد، بما يعيد تنقيح بل إعادة تأسيس وبناء مجال الإدراك الحسي نفسه للوجود والواقع والخيال والمناهج والمعرفة بصورة عامة، حتى تكون المعرفة والمناهج والنظريات ماثلة في بنية الصيرورة والتقدم المستمر وكأنها سهم مسدد دوماً للأمام، فلا ينبغي أن يكتفي النقاد والمفكرون بتبرير أنماط تفكيرهم، ورسم وتصنيف حدود وألوان الجدل فيها، بل عليهم بالمثل كذلك أن يوسعوا من مفاهيم الحركة والتداخل والإصغاء العلمي الخلاق لشروط حيوية النصوص والواقع معاً. فيجب أن تنبع أدبية الأدب ومنهجيته معاً من بنية الأدب نفسها حال اشتباكها مع بنية الواقع نفسه، ولا يكون دور المنهج النقدي العلمي التحليلي في تأسيس علم الأدب غير الاستهداء بروح العلم، القادرة على تأسيس آليات المنهج البعيد عن الإلزام والتصنيف والقولبة، وهذا يعني أن يكون المنهج العلمي المستمد من معارف فكرية وجمالية وثقافية متعددة ومتباينة ومتداخلة مجرد استراتيجية عامة داخل أطر معرفية ومنهجية وإجرائية خاضعة دوماً للفحص والمرجعة والتشكيل من جديد لا تكتيكاً خاصاً بأدبية الأدب ذاته.وأظن أن ما نقترحه من (علم الفضاءات السردية التشذرية البينية التداخلية)، هو المرشح جمالياً ومعرفياً لاستيعاب وهضم وصهر الخبرات الجمالية الجديدة في الكتابات العربية الجديدة.

لقد باتت الحاجة النقدية والجمالية والمعرفية أكثر إلحاحاً من ذي قبل في تأسيس وبناء – منهجية – منهجيات – جديدة لرؤية الواقع والعالم والنصوص

الجمالية أيضاً، ففي سياق هذه التحولات العلمية والمنهجية والثقافية والجمالية الجديدة بات الواقع واللغة والوعي والعالم والتذكر والهوية صوراً سردية نصية تفتقد إلى الصلابة والانسجام والتحدد، بل انداحت عبر مسارات معرفية وجمالية تعددية تداخلية بينية فيها من اللاموضوعية بقدر ما فيها من الموضوعية، ومن الغياب بقدر ما فيها من الحضور، ومن التشذر والتعدد والفوضى والتداخل المعرفي البيني بقدر ما فيها من النظام والمحاكاة والمماهاة والتوازن، ومن ثمة التقت مساحات الفراغ والصمت، والفجوات المعرفية، والثغرات الجمالية في جسد النصوص الإبداعية إلى جوار مساحات السبك والحبك والنظام، وباتت الحاجة ملحة أكثر من أي وقت مضى ـ فيما نرى الآن ـ إلى إعادة تأسيس حد جديد للمجاز والشعرية، وصار مصطلح السردية – السرديات حداً معرفياً في بنية العلم التجريبي والفلسفي نفسه بمثل ما هو حد جمالي في بنية علم الأدب المعاصر، وانتقل علم السرد من سرديات الخطاب أو السرديات الحصرية المتعلقة بتعبير (سعيد يقطين) وهي السرديات البنيوية الأدبية الداخلية إلى علم أكثر شمولاً واتساعاً وهو (سيموطيقا السرد) أو (السرديات التوسعية) المنفتحة التي تفتح النصوص الأدبية بكافة أشكالها وأنماطها على سياقات معرفية تعددية أدبية وغير أدبية، وكذلك فرق كل من جيرار جينيت وستنزال وتودوروف بين السرديات "(علم السرد)" الذي يدرس البنى السردية من جهة المضمون وبين (السردية) بوصفها شكلاً حكائياً يشمل محكيات الأدب ومحكيات غيره من علوم الفلسفة والمنطق والعلوم والمناهج، فبعد أن انهارت السقف المعرفية والمنطقية والمنهجية بين العلوم والمعارف وندت الظواهر الطبيعية والتجريبية عن أفق العقلانية التقليدية في الوعي والممارسة، باتت الحاجة المنهجية ملحة إلحاح الضرورة على إعادة النظر الجذرية في حدود العلم نفسه وبناه الموضوعية الداخلية التي تكون العقل العلمي المعاصر مثل مفاهيم النظام والأنساق والتوازن والقابلية للصدق والكذب، وظهور مفاهيم علمية جديدة تناوئ المنظومات المغلقة في الوعي والمنهجيات الموضوعية المتسقة، بعد أن صارت المباغتات العلمية والمفاجآت التصورية،والفروض الحدسية، هي القاعدة

اليوم لا الاستثناء كما تصورها قبلاً العقل العلمي الكلاسيكي، كل ذلك كان أدعى إلى تأسيس علم جديد للمجاز لا يقيس الحقيقة الجمالية بالقياس إلى الحقيقة الواقعية، بعد أن صارت الحقيقة الواقعية نفسها صورة من صور المجاز والاحتمال والفرض، بل يعيد هذا المجاز بناء صورة أكثر تركيبية ودينامية وانفتاحية ليقع على تخوم الحدود البينية للتصورات والمفاهيم والوقائع لا داخل الحدود النظامية الانسجامية للواقع والوعي والممارسة الجمالية، فالمجاز يقع في الغياب بمثل ما يقع في الحضور، ويقع في تأويل حدود الفهم بمثل ما يقع في حدود بناء الفهم، ولأن شيئاً من المطلق قد اختلط بنسيج النسبي في حياتنا اليومية والعلمية معا، فقد تأجلت فكرة الحضور الزمني تأجيلاً مطلقاً فنحن بإزاء وعي بالحاضر الذي لا يحضر أبداً، ولم يعد النص كما تصور جيرار جينيت هو موضوع الشعرية أو حتى الأدبية بل صار جامع النص "((أي مجموع الخصائص العامة أو المتعالية التي ينتمي إليها كل نص على حدة، ونذكر من بين هذه الأنواع : أصناف الخطابات، وصيغ التعبير، والأجناس الأدبية) [15].

لكننا نختلف مع جيرار جينيت لأن مفهوم جامع النص لديه يوسع من حد النص الأدبي داخل حدوده اللغوية والخيالية غير المنتهية أي من خلال جدل الدلالي والتأويلي معاً، لكننا نريد أن نتجاوز تصور جيرار جينيت الذي حصر الوعي بالنص داخل الحدود الدلالية والتأويلية اللامتناهية والتي تقبل الاختزال نتجاوز هذا التصور للنص إلى فتح النص على سرديات الوجود نفسه، فنقرن الدلالي بالتأويلي بالافتراضي بالوجودي . إن نظرة جيرار جينيت (المابعد بنيوية) غير مقنعة وغير مبررة إذا احتكمنا للمنجز الإبداعي المعاصر، ناهيك عن المنجز النقدي نفسه، فقد رأى رامان سلدن في النظرية الأدبية المعاصرة: ((أن وحدة النص لا تكمن في مقصد المؤلف بل في بنية النص ذاته، ولأنها – على الرغم من اكتفائها بنفسها – ذات صلات خفية بمؤلفها، بسبب من أنها تمثل لسنن لغوية معقدة أو " أيقونة لغوية " تناظر حدوس المؤلف عن العالم) [16]، لكننا نتصورأن بنية النص مهما كانت محكمة وغير قابلة للاختزال وولادة إلى ما لا نهاية غير أن أزمة

التمثيل اللغوي للعالم والواقع والتجارب الإبداعية صارت أزمة كبيرة، بل تمثل أكبر مشكل معرفي ومنطقي ومنهجي في فلسفة العلوم الغربية المعاصرة، فداخل كل اتساق لغوي يكمن تناثر لا ينتهي، وداخل كل إحكام بنيوي ترقد آلاف الثغرات والفجوات والتعاليات، وصار الواقع يحكمه منطق الشواش واللاتحدد واللادقة واللامنهجية، وأصبح منطق الإصغاء لمنطق الواقع في ذاته ولذاته مقدماً على منطق منهجة هذا الواقع، وتأطيره داخل أي أطر موضوعية أو ذاتية، فأصحاب الهرمنيوطيقا الفلسفية يرون النص "((يكشف عن الوجود، وينطوي على حقيقة أو معنى يتجاوز إطار بنية الشكلية، كما أن تفسيره – وبالتالي فهمه – يقتضي تجاوز إطار الذاتية والموضوعية معاً، وهو ما يعني أن الطريق إلى فهم النص إنما يفترض فهم ماهية اللغة ذاتها – والتي هي .... كلاً من الشكل والمنهج معاً)[17]، ومن ثمة لابد ــ ونحن نؤسس لمنهجية علم الفضاءات الشعرية الشذرية البينية هنا ــ من قران جامع النص لدى جيرار جينيت إلى جامع الوجود لدى هايدجر، حيث لا تنحصر مهمة اللغة في القدرة على الوعي بالنص في ذاته كما تصور جيرار جينيت وغيره بل أيضاً على الإصغاء للتحجب والمجهول والتكتم اللانهائي الكامن في بنية الواقع واللغة والنصوص، حيث يقترن المعنى باللامعنى والحضور بالغياب، والأشكال بمرحلة ما قبل الأشكال، حقاً إن النص الأدبي يمثل كياناً حسياً موضوعياً مثل باقي الظواهر المادية الطبيعية من حولنا، ولكنه مفتوح أبداً على أشكال معرفية وجمالية لا متناهية من خلال جدليات الذات والحرية والوجود والخيال، ولعل علم (الفضاءات الشعرية السردية الشذرية البينية) يكون مرشحاً بجدارة لملء فراغات الجدل البيني الواقعة على التخوم والثغرات بين هذه الحدود المعرفية والجمالية المتعددة والمتباينة الجديدة وإذا كان الفهم كما يطرحه هيدجر هو قدرة متحركة بين رحابة الحرية، وتعدد الإمكانية، فإن علم السرد يقع بين العلم بالوجود، والقدرة على اجتراح الوجود في وقت واحد، فالحياة تعاش بقدر ما تروى كما يقول " بول ريكور " ولعل جسارة التخييل السردي على ملء ثغرات الوعي، وفجوات الغياب، وممكنات المستحيل، قادرة على تقويض هذا

الـوهم الجمـالي والمعـرفي والثقـافي لمنطـق الهويـة والتـوازن والنظـام والانـسجام والموضوعية الجمالية في بناء النص، حتى ليعيد علم (الفضاءات الشعرية الشذرية البينيـة) بنـاء منطـق الخلـل إلى جـوار منطـق التوازن، وتـشكيل منطـق الفـراغ إلى تكوين منطق الكتلة، من خلال إعادة بناء البدائل والاحتمالات والعروض، ولنزيد الأمر إيضاحاً نستعين هنا بمفهوم عبد السلام بن عبد العالي عن كتابة العدم والبياض والفراغ " فليس الفراغ هنا فراغاً مكانياً، وإنما فراغ زمني ، فلا يتخلل الكتابة هنا بياض الورق، وإنما انفصال الكائن، واختلاف المعاني، وتصدع الذات ... وليس الفراغ ... هو فراغ الفيزياء التقليدية الذي لا يبتعد في حضوره ودوامه واستقراره عن الامتلاء، فإذا كان الامتلاء أنطولوجياً هو الهوية، وزمنياً هو الاتصال والماضي الجاثم، ورياضياً هو الوحدة، وأيديولوجياً هو الدوكسا، وتاريخياً هو التقليد والتراث، فإن الفراغ المقصود هنا هو الاختلاف والانفصال والتعدد والتجدد والتحديث)[18]

إن علم الفضاءات الشعرية الشذرية البينية يقع على الفجوات الجمالية البينية بين الضروري والواجب والممتنع والمستحيل خالقاً هذه الحياة الجمالية المضاعفة بقوة جسارة السرد من جهة، وبتعدد الحقول المعرفية والجمالية لهذه الجسارة من جهة ثانية، والقدرة على استشراف آفاق جمالية ومعرفية أكثر حرية من جهة أخيرة، ثمة ازدواج وانشطار وتعارض والتباس بين الذات واللغة والنص والواقع والخيال، وليس سوى الفضاءات السردية التعددية قادراً على جسر الصلات المرئية واللامرئية بين هذه الحدود المعرفية / الجمالية البينمية، إن الكيان الأبستمولوجي للعلم التجريبي المعاصر يقع في منطق الخلل لا في منطق الاتساق، وفي عوالم المباغتة والشواش والمفاجأة والفراغات، ومن ثمة ندعو في هذه المقالة إلى تأسيس سميولوجيا جديدة توازي الوعي الأبستمولوجي للواقع والنصوص سميولوجيا تتكون من بنية الشواش والفراغات والتشذر والتعدد والتشعث والتداخل إلى جوار بنى الانسجام والمنطق والنظام، ولعل هذا ما دعانا إلى هذا الاقتراح التجريبي بخصوص إعادة بناء الوعي المعرفي والجمالي والنقدي بالظاهرة الأدبية في مصر

والوطن العربي كله، لتنحو صوب التحقيل التخييلي والمعرفي ولقد سبق لنا أن بينا مفهومنا النظري والمنطقي والمنهجي لهذا الاقتراح الجمالي التجريبي لمفهوم التحقيل التخييلي في كتابنا الصادر عن المجلس الأعلى للثقافة[19]، وأظن الأشكال الشعرية الشذرية البينية التعددية قادرة على إعادة تأسيس هذا التحقيل التخييلي لإنتاج شعرية جديدة خارج أطر الفكر النقدي والجمالي الخاص بالمطلقات والمشابهات التشكيلية والمعرفية السائدة والتي ألفتها الذائقة الجمالية العربية، وهي ذائقة آثرت الممكنات على المغامرات والاتصال على الانفصال، والمراكمة على النقض، والمشابة على الاجتراح، والنظام على اللانظام، والتوازن على التعدد والترامي والاستشراف، لكننا نود أن نثور الأشكال الجمالية العربية ضد ذاتها، لتنتج قواعد نصية وأسلوبية وتشكيلية جديدة تنحو بالكتابة إلى منطق الكتل التعددية البينية، وأسلوب التداخل الجمالي المفرط، وإعادة أشكلة البديهيات الجمالية والمعرفية التي تدشن الذائقة الجمالية العامة في المجتمع، لابد من إحلال منطق الحوار والقلق والالتباس والانشطار والنقد والاستشراف لبناء نص سردي بيني تعددي، يتخذ من إعلان المخالقة والتجريب والمغامرة وأشكلة البديهيات السائدة – يتخذ منها جميعا حدوداً شعرية شذرية سردية بنائية جديدة لنص معاصر حقاً " ((هنا والآن))" يكون قادراً على تفتيت مراكز التسلط أياً كان شكلها وتركيبها في الكل الاجتماعي الثقافي، إن كتابة الفضاءات الشعرية الشذرية السردية تعني كتابة الفراغات والتشذر والمنسي والصامت والجسد في اللغة الواقع والثقافة معاً، إن الدرامي والتناصي والموضوعي والأسطوري والسردي أشكال من بنية الثقافة قبل أن تكون أشكالاً من بنى الوجود أو بنى علم الشعر والسرد لكن شعرية الفضاءات الشذرية التشعبية البينية تعدد وتنوع وتحول وتلاقح وتحقيل وتجريب، فهي سردية شعرية سيالة بالتعدد والانفتاح لا تعرف أين يبدأ الراوي السارد في النص ولا أين ينتهي، ولا من أين يبزغ من جديد، فالراوي من خلف ملتبس بالراوي من أمام متداخل بالراوي من خارج ملتصق بالراوي من خلف، هنا الحادثة في هذه الشعرية حادثات، والشخصية شخصيات والحوار حوارات والأزمنة

والأمكنــة ممكنــات واحتمــالات وافتراضــات تتنــامى في مجراتهــا التــشكيلية التداخليـة عـبر نـسيج مـن الإحـالات اللامتناهيـة والأصـداء المتوالـدة، والتـداخلات المتراكبـة . إن شـعرية الفـضاءات الـسردية الـشذرية البينيـة يـسكنها الـوعي بعلـم البيـاض الوجـودي، وكتابـة الفـراغ الثقـافي، وتـشكيل فجـوات العـدم الكـامن في الثقافـة والـذات والتـاريخ وأشـكال الجمـال، ومـن ثمـة تقـع الـشعرية علـى الحـدود المعرفية التعددية البينية ولا تقع داخل الحدود الموضوعية الداخليـة الاتـساقية، وهنـا تحـول الـسردية أو قـل علـم الفـضاءات الـسردية الحـد الجمـالي الواحـد والـصارم ليكـون مجـالات حركـة لا قـرارات سـكون، وخطـوط قلـق، لا نقـاط طمأنينـة، وهجرة أشـكال داخل أشـكال، وليس ثبوتية مضمار تـشكيلي مـستقر، فـلا يُلحـم الـسرد المتباينـات التـشكيلية للتكـوين النـصي، بـل يفـتح الفجـوات والثغـرات بـين الـشكل والـشكل والـسرد والـسرد والوصـف والوصـف، والمكـان والمكـان سـواء داخـل الحـد الواحـد لهـا، أو مـن خـلال جـدلها الجمـالي التـداخلي مـع غيرهـا مـن الحـدود، حتـى يـصير الفـضاء الـسردي الـشعري فـضاءات سـردية بينيـة لا تراكميـة تداخلية لا اتصالية تجاوزية لا اتساقية، حتى لتتحقل حقولاً جمالية ومعرفية كتليـة. الكتابة هنا خطابات تعددية، وتخصيبات كتلية، وتحقيلات تشكيلية، ليس هنـا تـراكم وتـذكر واسـتنتاج واسـتخلاص وتفـسير وفهـم وتأويـل، بـل تـداخل وتمـاوج وتشذر وتصدع وتوتر وتناقض وصهر ودمج وتجريب واستشراف، الفضاءات الـسردية تحقيلات تشكيلية كتليـة تماوجيـة لا يـسكنها التعـدد ضـمن وحـداتها الجماليـة المنفصلة، بل داخل كل وحدة تعدد، وداخل كل لحظة من لحظات الـزمن يـسكن الأبـد، حيث يحـل المطلـق في النسبي، ويتـسع المفهـوم الجمـالي للـزمن اتـساعاً مطلقـاً، حتى ليـصير الـزمن الجمـالي اسـتباقاً وارتـداداً مكوثـاً وقفـزاً وحـضوراً لايحـضر أبـداً، ومن ثمـة تتخلـق هـذه شـعرية الفـضاءات الـسردية بمـا يمـور فيهـا مـن معرفيـة جماليـة تعدديـة يمـور بهـا الجـدل موراً، ويعـصف بهـا التـشبيك والتـداخل والتشعيب، فـلا يرتـد الـشكل إلى شـفافية المفهـوم، ولا تجاوريـة أو تفاعليـة البنـاء الواحـد، بـل إلى فـضاءات تعدديـة تداخليـة شـبكية تـشعبية منفتحـة علـى شـتى

المنظورات والرؤى والتصورات والممكنات والمستحيلات، فتتخللها شتى البناءات والتأويلات المتباينة واللامتناهية، فتتحرك الأشكال الجمالية التشعيبية التداخلية بالمعرفة والعرفان، والتصوير والتصور، والنسبي المطلق الموغل في جسدية الذات والنصوص والواقع من حولنا حيث يذوب العقل والمنهج والمعرفة في الجنون الشعري المفكك لكل شيء، والمركب لكل شيء في وقت واحد .

وفي هذه الشعرية ينتقى مبدأ قياس الشاهد الجمالي والأسلوبي على الغائب البلاغي،وينتفي مبدأ رسوخ مفاهيم الواقع واللغة والهوية والوعي والتذكر والتخيل، ويتراخى منطق إما ـ أو ـــ المكون للخطاب الثقافي والاجتماعي العربي،فينتفي خطاب الذاكرة والتحصيل والمراكمة الوئيدة، ويتخلف شكل المطابقات والمشابهات، أو الانعكاسات والتوازيات التشكيلية، أو حتى الجدليات الجمالية البنيوية المفتوحة على كافة أشكال المواريث الجمالية والمعرفية شرقاً وغرباً، وكلها أشكال تنحو صوب بناء جمالي موضوعي متسق للشعر والذات والتاريخ والثقافة وتتطابق ومنطق التصور المعرفي المتلكئ لآنات الزمان المنفصلة بين ماض وحاضر ومستقبل، فيتنزل الشعر على الواقع، وتتطابق الثقافة مع الوجود، وتتكافأ الأيديولوجيا مع اللغة، ويتسق المنهج مع الشكل، وفي النهاية يقدم الفن فروض الطاعة الرسمية لأنموذج ومحددات الفهم السلطوي العام، لكننا في علم شعرية الفضاءات السردية البينية، تكمن الشعرية في قوة تشكيل منطق الثغرات والفجوات والصمت والغياب والشواش اللام،والتناثر التشعيثي الدامج للمطلق في النسبي، بما يعيد بناء أشكال العدم بوصفه وجوداً كامناً، واستشراف اللاشكل الكامن في بنى المستحيل الممكن، وخلجات الغياب الحالم بالحضور، بما يحرض الواقع ليكون ضد نفسه، والشعر ليكون ضد شكله، والشكل ليكون ضمن اللاشكل،وكأننا بصدد بناء (أشكلة فلسفية للأشكال الجمالية المعاصرة والمتوارثة والمستشرفة)) ومن هنا كانت ضرورة تحقيل الفضاءات السردية المتعددة والمتباينة لتكون قوة تشكيل جمالي جديد، قادر على القبض على أخطبوطية شعرية الفضاءات السردية حيوية وجودية مفتوحة على اللاشكل

قبل أن تكون موضوعية دلالية متسقة مع أشكال الثقافة والتاريخ واللغة والهوية والتذكر، إنها تحرر من الرؤيا والشكل والمعلوم والنسق والجواب، وحلول في بياض الكمون والإمكان والمستحيل والممتنع، والقدرة على إعادة كتابة الوجود بدهشة السؤال، وتأسيس اللغة بإلغاء التعريف والاصطلاح، وبناء الأشكال بأشكلة الأشكال من جديد، لم يعد هناك انفصال يقف بصورة محددة واضحة إزاء الاتصال الرمزي والثقافي العام المهيمن، بل ثمة انفصالات داخل كل اتصال، وثمة انشطارات داخل كل تماسك، وثمة حضور شاسع تتعدد مراميه فلا يحضر أبداً، وكان لابد من وعي جمالي وتشكيلي جديد ينبع من رحم الحركة المتشذرة للزمن والتاريخ والذات والثقافة، فثمة حركة طليقة لا تنفك تنفصل إذ تتصل، وتنعدم إذ تنكتب، وتهرب إذ تحضر، وكأن شيئاً من المطلق قد حل في النسبي، بغية استنباع واستنساغ الأشكال الحسية المذهلة لحركة الزمان في الواقع الاجتماعي المحيط بنا من جهة، والقدرة على خلخلة وإعادة بنائه من جهة ثانية، واستشراف ممكناته المستحيلة والممتنعة من جهة ثالثة. مستبدلين الفوضى المنظمة بالنظام العشوائي،والغموض الأصيل بالوضوح المبتذل، والتشعيب البيني التداخلي، بالواحدية والتماثل،والنسق المتسق، بالتشذر الكتلي الخصيب.وبهذه المثابة التخييلية الجمالية الفريدة والمدهشة من التركيب الخيالي التشعبي المبتكر، يحاول الشعر نقل حد الشعرية من نسقية العناصر إلى تداخلية الأنواع التي تبتكر ما نطلق عليه هنا مصطلح ((الخيال البيني المنظومي)) أو((الخيال الموسوعي التشعبي))، القائم على النهج الجدلي البيني المنظومي (**SystemApproach**)، حيث لا يكتفي الخيال هنا بالعلائق الجمالية والمعرفية الكامنة في فكرة العناصر الدرامية التصويرية المتداخلة في النص، وهو الشائع في بنية النص الشعري التفعيلي لدى معظم الشعراء في الوطن العربي، بل يتجاوز ذلك التصور للخيال ناقلاً حده الجمالي والمعرفي الجديد من التركيز على فكرة العناصر المكونة للمنظومة الجمالية الواحدة ـ مهما كان فضاؤها وحركيتها الخلاقة، وإلغاء الحدود النوعية الأجناسية فيها ـ إلى فكرة الأنساق العلائقية الشبكية المنظومية البينية، التي

تربط بين أنظمة جمالية ومعرفية ومنطقية وكونية مرئية ولامرئية متعددة ومتباينة ومتداخلة، تتبادل حدها المعرفي التأسيسي والجدلي معاً من داخل حدود جمالية ومعرفية وتخييلية متنوعة ومتباينة، فهي شعرية ناظمة للنظم أو (شعرية تتناظم النظم) ولا تكتفي بمجرد تركيب العناصر، بل تنقل فكرة التركيب إلى فكرة (التحقيل المعرفي والتخييلي) بمعناها الفلسفي والجمالي الواسع في الفكر الفلسفي المعاصر، وبهذه المثابة ننتقل إلى ما نطلق عليه هنا مصطلح ((مهرجة التخييل))، وهذا التجادل التركيبي البيني للأنظمة المتخالفة والمتباينة والمتعددة، ينقل حدود الخيال في الفن بصفة عامة والشعر بصفة خاصة من فكرة العناصر المتفاعلة إلى فكرة العوالم والأنظمة المعرفية والجمالية التعددية المتداخلة، وتنقل حدود التصوير الفني والشعري من فكرة التعاقب التخييلي فى بنية النظام النصي الواحد، إلى فكرة ((التزامن المعرفي والتخييلي البيني التشذري التشعبي)) ، بما يتم معه تشعيث الحركة الزمنية لتنداح عبر أفق جمالي كوكبي تشعبي تداخلي، يصهر بين أنظمة نصية ومدارات معرفية، وتراكبات فلسفية، وتراميات كونية معقدة، لتقع الشعرية على التخوم والثغرات والفجوات عبر حدود جمالية ومعرفية نوعية متباينة، تنتفي معها السببية المنطقية، أو الوحدة الموضوعية والعضوية والفنية للخيال، وينتفي أيضاً مفهوم الإيهام بالواقع، فالواقع أشكال شتيتة متجاورة متداخلة في وقت واحد، كما تنتفي معها نفياً كلياً بنية خيال العناصر القائمة على الوحدة الفنية بكافة صورها سواء تمثلت في بنية الانسجام والاتساق أو التناسب والإحكام إلى آخر صور بناء النص في الخطاب الشعري المعاصر، لتنتقل نقلة نوعية إلى بنية خيال المنظومات، القائمة على الانقطاعات، والفجوات، والتشذرات، والتداخل بين أكثر من حد جمالي معرفي نوعي، وبذلك تتفتت الوحدة الفنية الموضوعية والعضوية في بنية النص الشعري بكافة صورها البنائية سواء كانت بنية نصية غنائية أو سردية أو درامية أو مسرحية، أو شعبية، لتحل محلها الوحدة المنظومية المجرية التداخلية لبنية النص الشعري، وهي صورة أشبه بصورة السببية الدورية في بنية العلم التجريبي المعاصر التي ترى السبب

والنتيجة متداخلين متقاطعين متجادلين في وقت واحد، فكلاهما سبب ونتيجة في آن، بما ينفي فكرة التسلسل الزمني المنطقي بينهما، ومن هنا تنتقل بنية التخييل لتتراوح من الكتلية إلى اللاكتلية، ومن التعاقبية إلى التزامنية التشعبية المنظومية، وافتراض التحقيل المعرفي التخييلي الشبكي القادر على استيعاب التفاعل الجمالي الخلاق بين الأنسقة الجمالية المختلفة في أنواع الخطابات الجمالية المتعددة والمتباينة التي تسري في جسد النص الشعري.

إن ((التحقيل التخييلي الشذري البيني))، الذي نقترحه في هذه الدراسة يختلف اختلافاً كلياً في تشكيله وتصميمه الجمالي والمعرفي عن كل ألوان التصميمات الجمالية السابقة عليه، إضافة إلى أنه الوارث التشكيلي الكلي لجميع أشكال الفن السابقة بما يعيد تسييل حدودها التشكيلية السابقة، وتوزيعها معرفياً وجمالياً وتشكيلياً عبر التناسل التشكيلي النسقي واللانسقي معاً، وكأن ثمة انفتاح تشكيلي ديمومي لايني في عبوره التشكيلي المستمر للحدود والتصورات والمنهجيات بين اللاوعي الجمالي الجمعي للشعر والشاعر من جهة ((التكوثرالتخييلي الداخلي))، واللاوعي المعرفي والجمالي الكامن في بنية الواقع والعالم من جهة ثانية ((التكوثر التخييلى الخارجي)) ، لقد تخففت الشعرية المعاصرة من سطوة الحدود والتصورات والأشكال، وخلقت مفارقات تشكيلية وجمالية ومعرفية تعددية منظومية للجمع بين التخفف من سطوة التاريخي والثقافي والحضاري دون التخلي التام عن ثقل الواقع والعالم في ذات الوقت، فنحن لا نعرف الواقع في ذاته بل ظلالاً معرفية ومنهجية وإجرائية عنه، ولا نعرف المادة في ذاتها بل نعرف حضورها ملتبساً بغيابها، وتكتلها الحسي مقروناً بشبحيتها، وصوتها متعدداً بصداها، نحن لا نعرف العالم والواقع. ولا نستطيع أن نراهما إلا من خلال نمذجة فلسفية معرفية ما مقرونة بإعادة تركيب النمذجة في ذات الوقت، وكأن الوهم والغياب والصمت والمجهول يمثلون بنى تأسيسية في جسد الواقع والمادة والمعرفة والتخييل والإدراك لا بوصفها مساعدات ثانوية بل بوصفها بنى تأسيسية، فلا نستطيع بأي حال من الأحوال أن نفصل إرادة المعرفة وصرامة التمنهج، عن إرادة

الحياة واستعصائها المطلق على التمنهج المعرفي،كما لا نستطيع الفصل بين اتساق النسق المعرفي الموضوعي بوصفه ذاتاً داخلية للبناء الموضوعي لجسم العلم في ذاته،عن الخلل البنيوي الأصيل والمطرد في جسد العلم ومناهجه بوصفه استطراداً وجودياً ونفسياً حتمياً لاستعلاء الذات الموضوعية على ذاتها،ونموها المطرد خارج حدود منهجياتها، وخارج حدود الواقع معاً،فليس هناك علم ـ أي علم ـ غير منقوع في رغبات الذات، وتهويمات التخييل، وظلاميات اللاوعي النفسي المطلق للوهم والغياب والنزوع والتسامي،فما تبنيه إرادة العلم تهدمه إرادة الحياة والوجود والقوى الداخلية المتكوثرة للواقع، لقد صار العلم هو الفعل العلمي لا العقل العلمي، ولا نستطيع بحال من الأحوال وضع نظرية في الواقع والعلم ترى الجهل والغياب والصمت والوهم أطرافاً مضادة للتمنهج والاتساق والموضوعية،بل من الأجدى لنا الآن في واقعنا العربي المعاصر ـ الجمالي والمعرفي معاً ـ وضع نظرية في الواقع والعلم يتداخل فيها كل الأطراف المعرفية السابقة بوصفها مكونات معرفية أساسية للعقل والواقع والعلم والتخييل والممارسة، إن النظريات تصف الواقع ولكنها ليست الواقع في ذاته، ومن ثمة فهي تلتقط العابر الشكلي عبر اللغة لتعطيه ديمومة علمية حسية صلبة لتكون بديلاً عن الواقع، وحتى نتلافى هذا الخداع العلمي الهائل المكون من ألاعيب الموضوعية والمنهجية والعقلانية والتجريبية بوصفها ألعوبات لغوية تصف الواقع ولاتحايثه في ذاته،بما ينفي جذرياً إمكان المعرفة الدقيقة بالواقع، ـ علينا أن نعدد ونداخل ونسيل ما بين أنظمتنا وتصوراتنا وأنساقنا ومناهجنا لنخفف من صلابتها المعرفية التاريخية الهشة، وننقل الديمومات المعرفية العابرة التي ترى بها النظريات الواقع إلى تداخلات معرفية منظومية بينية تخصب وتكوثر من رؤيتنا للواقع الذي لا تنتهي عجائبه.

لقد أدى انهيار فكرة الحد العلمي الواحد والصارم في العلوم التجريبية (الفيزيائية والبيولوجية والكيميائية)،والفلسفية (إمري لاكاتوش في (برامج الأبحاث العلمية (**Methodology Of Scientific Research Programmes**)، وفيرا أبند في (المنهج وضد المنهج)،وريتشارد روتاري في (مرآة الطبيعة)) والاجتماعية

(ألفن جولندر في (الأزمة القادمة لعلم الاجتماع)،وبرتران بادي وماري كلود سموتس في:(انقلاب العالم:سوسيولوجيا المسرح الدولي)،والثقافية (جون تملينسون: العولمة والثقافة) . بما أدى إلى تداخل بنى العلوم التجريبية والإنسانية والمستقبلية في نظرية المعرفة المعاصرة من جديد وفق منظومات معرفية جدلية تداخلية تعددية بينية نفقد معها أية صورة لغوية تمثلية واحدة ووحيدة للواقع والذات والنص والحقيقة والعالم من حولنا،بما يجعلنا نتجاوز مفهوم الواقعية . بل الواقعيات . المعاصرة بكافة أنماطها الفلسفية، وأطيافها الجمالية، وأشكالها التركيبية، إلى ما نطلق عليه هنا (الواقعية المفرطة) أو مفهوم (الواقعية الكبرى المتكوثرة) بوصفها حداً معرفياً وجمالياً ومنهجياً فاصلاً بين المشهد الفلسفي العالمي المعاصر الذي يركز على فلسفات مابعد المنطق والعقل : فلسفات: الرغبة والتخييل ومكامن اللاشعور والجسدانية الحيوية المتجددة، مقابل الفلسفات التقليدية الغربية المعاصرة (أو حتى قريبة العهد) التي أولت العقل والمنطق والتجريب الفيزيقي وبنية الانسجام والتعضون كل همها المعرفي والوجودي والمنهجي،لكن مفهومنا عن ((الواقعية الجمالية المفرطة)) سيكون معنياً بفن اختراق الحدود المعرفية والجمالية والمنهجية التي تؤسس لمفاهيم جديدة للعقل والذات واللغة والواقع والتاريخ فهي تفصل بين التعددية الحيوية لأشكال الواقع وتناثر أشكال معرفته معاً، فلا يساوي النظر في الواقع مفهوم الواقع نفسه،كما تسيل الواقعية الجمالية الكبرى والمفرطة كل الحواجز العقلانية والاصطلاحية والمنهجية والنظرية التي تمنع استغراق التخيل في التعقل، واختراق التجريب للتقعيد، واستنباع الفن واللغة عموماً من عوالم الصمت والغياب والمجهول الكائنة في الكائنات والأشياء والأنظمة والتصورات، وحلول العرفان في المعرفة، والتصوير في التصور، إن المنطلق الجمالي والمعرفي والتخييلي والمنهجي هنا سيكون إحلالاً لمنطق الوجود محل منطق الثقافة، ولمنطق قوة التعدد محل منطق تفرد الوحدة، ولمنطق الحركة محل منطق الثبات،ولمنطق جماليات العبور والنشاط والوفرة والهجرات الجمالية والمعرفية الجدلية اللامتناهية محل منطق التطابق والهوية والانسجام، بعد أن تغيرت مفاهيم اللغة والوعي والتذكر والتوقع والهوية

والواقع تغييرات نوعية في فلسفة العلوم والجمال المعاصرة، وفي النهاية سوف تحل الواقعية الجمالية الكبرى المفرطة منطق كتابة الحضور اللحظي بوصفه نسياناً متكرراً ومتحولاً أبداً عبر كثافة الزمن المعقد محل منطق الذاكرة الشعرية، ومنطق التراكم والتحصيل الجمالي الفقير الذي شاع في الشعريات العربية المعاصرة شيوعاً مملاً مضجراً، وبصورة عامة لن نتمكن من رؤية الشعريات العربية التشعبية الوليدة فى غياب فلسفة جمالية رصينة للزمان العربي المعاصر،أقصد فلسفة زمنية اللحظة الجمالية الفاعلة حقاً، فلسفة تترك عقلها المعرفي، وذوقها الجمالي، وجهازها النقدي والمنهجى برمته لفلسفة الجمال المحايثة في ذاتها ولذاتها للزمان والوجود وهما أكثر أصالة وصدقاً ونزاهة من أي تصورات معرفية منهجية قبلية سابقة على محايثة الوجود الجمالي في ذاته، وبالتالي خلجات الجمال والمعرفة والتخييل التي تعتمل في حناياه وطواياه الخفية والمعلنة والمسشرفة،ولن نستطيع ضبط الحدود الجمالية والمعرفية التعددية التداخلية بين أشكال الفنون فى غيبة العقل النظري العربي الأصيل في تصور الراهنية الزمنية المحايثة للوجود في ذاته ولذاته، فلا يمكن تصور مفهوم الهوية والذات والثقافة والواقع والتاريخ واللغة برمتها والشكل المعبر عنها في غيبة تصور زمني كثيف لحركية الوعي الجمالي والمعرفي في استيعاب أشكال الوجود كافة،وسيكون هناك هذا الوعي الحاد بالغياب والصمت والنفي والعدم فالشيء الفريد بالنسبة للوعي الشعري هنا هو تحديد إدراك الغياب بوصفه وجوداً ممكناً، أو إمكاناً شعرياً مفتوحاً على الحضور الذي لا يحضر أبداً، وبالتالي ستفكك الواقعية الجمالية الكبرى فكرة الحاضر الزمني بتأجيل فكرة الحضور نفسها،فهي تلحظ هذا التباعد الزمني الكثيف للغاية بين الحضور الزمني وبين نفسه فتؤسس لبلاغة اللامعنى بوصفها إمكانات لانهائية للمعنى إلى جوار بلاغة المعنى:

((إن مفهوم اللاهوية المؤقتة وإمكانية وجود مظاهر غير التي أراها الآن هو ما يؤدي إلى المعنى المطلوب لوجود آخر، ويتميز الموضوع عن الوعي بغيابه لا بحضوره وبعدمه لا بكثرته، إن القول بأن الوعي هو وعي بشيء ما يعني أن على هذا الوعي

أن يقدم نفسه في كائن ظاهر يكشف عنه رغم أنه ليس هو، ولا يعلن عن نفسه إلا بصفته كان قائماً من قبل عندما يكشف الوعي عنه))، وهذا الإعدام الدلالي والجمالي والمعرفي المستمر بين الوعي المعرفي والجمالي والتخييلي بوصفه لغة ونظاماً من الأنساق والتصورات والممكنات،والوعي الوجودي الظاهراتي الجمالي اليومي بوصفه تعييناً مادياً زمنياً لحظياً كثيفاً،هو ما يفتح باب الفن على الحضور الوجودي الكثيف والذي لا يحضر أبداً، ويفتح باب الاحتمال والتجريب والافتراض بوصف وقائع ممكنة كمينة، بعد أن تغلل الجسد الحي للواقع من حولنا في أنظمة جمالية وفكرية وسياسية واجتماعية وثقافية محددة وصارمة تغلق تعدده، وتسد كثافة أفقه، وتؤطر حدوده التشكيلية اللانهائية، ومن ثمة يأتي مصطلحنا عما اقترحناه من ((الواقعية الجمالية المفرطة)) ليكتشف لنا صبغية الواقع وليس واقعيته، ووهمية خلق واقع رمزي فائق يكون أكثر واقعية من الواقع نفسه،وترينا أن الحقيقة في أي شيء هي جماع شروط رمزية مبنية من قبل المؤسسة العامة،بصرف النظر عن العري الخالص الشفاف لمفهوم الحقيقة في ذاته، فثمة فوارق معرفية ومنطقية ومنهجية حاسمة بين منطق الحقائق ومنطق اعتقادات الحقائق كما يقول روبيير مارتان في كتابه المهم ((في سبيل منطق للمعنى))،وهذا يعني وجوب التفرقة النقدية والمعرفية والمنهجية بين منطق الحقيقة الخالصة، ومنطق الحقيقة من خلال المعتقد اللغوى والمعرفي الذي تتبع منه،وشكول الأيديولوجيا الرمزية التي تؤطرها،فلا حقيقة أصلاً إلا في ظروف اعتقادها،ولن يكون المعنى أو الحق حقاً إلا من خلال مجمل الظروف اللغوية والاعتقادية والاجتماعية والثقافية التي ننظر إليه من خلالها،وهى تصورات تحاول تحقيب رؤية المعنى تاريخياً ومعرفياً وثقافياً. وهذه التصورات المعرفية والمنهجية تقترب فيما نرى من اتجاهات فلاسفة مابعد الحداثة في رؤية منطق المعنى والدلالة في الواقع والعالم والنظرية.لقد صبت اتجاهات مابعد الحداثة على اختلاف تخصصاتها ومناهجها ونظرياتها ـ صبت جل اهتمامها على بنية الدال في ذاته حتى صار درس السيميولوجيا هو درس الوجود،على اعتبار أن كل صور العلم والواقع والمناهج

والمنطق والعلم هي صور من أشكال اللغة،وكل مايقع خارج اللغة يقع خارج الوجود،فاللغة كما يقول (جاك دريدا) نسق من الدوال له إرادته الخاصة به،وهذا النسق يتسم بالتزلق اللانهائي للدال على الدال من أجل الإمساك بالمدلول المرجأ بصورة مستمرة،ومن هنا انفكت العلاقة القائمة والصلة الحقيقية بين الدال والمدلول،وصار الوصول للحقيقة أشبه بممرات التزلق على الجليد،ليس ذلك على مستوى الوعي بل ومستوى اللاوعي أيضاً،الذي صار لدى جاك ديريدا صورة رمزية لغوية لابنية بيولوجية نفسية معتمة كما تصور فرويد،فكل عمليات الفهم والوعي والتذكر والحلم والاستشراف الظاهرة والباطنة صورة من صور اللغة في المقام الأول والأخير،ومن هنا كان لابد لنا من إعادة النظر المعرفي والمنهجي في مجمل الجهاز المفاهيمي للمعرفة السابقة، ورفض المماهاة المنهجية السائدة بين العقل والمنطق والتوازن والنظام.وتثمين المنطق البينى الغائم والتعدد التصوري للواقع، والتحول المنظومي، وما يستتبعه من منطق الاختلال واللاتحدد، واللادقة والتشعيث التخييلي والتشذر المعرفي،والانفصال الجدلي الكامن في كل اتصال سائد، والتداخل البيني للحدود المعرفية للعلوم، وتثمين كل ذلك على حساب منطق المنظومات الدلالية المغلقة،والقواعد العلمية المنسجمة،والعقلانية التقليدية المتسقة مع ذاتها. إن التساؤل الفلسفي قد انتقل من الموضوعية الظاهرية للمعيار، إلى المكونات النفسية والميتافيزيقية والعقلانية والتجريبية البانية لمفهوم المعيار نفسه، وهو تساؤل فلسفي عميق هز الأساسات الثابتة للحدود المعرفية المعاصرة في كافة التخصصات،بل انتفت فكرة التخصص بالمعنى العلمي الضيق،ونمت فكرة انهداد السقف المعرفية والمنهجية والمنطقية بين العلوم والمناهج.وربما ترسخ هذه التصورات العلمية واللغوية والجمالية والنقدية الجديدة إلى ما اقترحناه آنفاً من وجوب بناء علم جمالي جديد نطلق عليه هنا ((علم شعرية الفضاءات الشعرية الشذرية البينية))،في مقابل علم الشعري ـ المحاكاة، أو الشعري ـ التعبيري،أو الشعري ـ الواقعي الجدلي،أو الشعري ـ الموضوعي الجمالي،أو الشعري ـ السردي الدرامي عبر النوعي،أو الشعري ـ الحساسية الجديدة،أو شعرية الفضاء والإنتاج،

بما يخلق قطعاً معرفياً وجمالياً جذرياً لعلاقتنا بالذات واللغة، والواقع، والفن، والتاريخ، والظاهرة الثقافية برمتها : أشكالاً ولغة ونقداً وتلقياً، تمهيداً لخلق خطاب جمالي مختلف، يعضد من قيم الفجوات والتعدد والتشعيث والتشعيب والانفتاح والتحقيل والاستيعاب والصهر والتركيب والهدم وإعادة التركيب، بما يطلق القوى الحسية والمعرفية والعقلية والتجريبية المذهلة للواقع الاجتماعي والسياسي والحضاري والثقافي العربي من جديد.

***

المصادر والمراجع

1. د.صلاح فضل، أساليب الشعرية المعاصرة، كتابات نقدية،الهيئة العامة لقصور الثقافة،القاهرة،أغسطس 1996.
2. محمد آدم، الأعمال الشعرية الكاملة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2007، ج2، ص60.
3. المصدر السابق، ص 61.
4. إدغار موران، الفكر والمستقبل (مدخل إلى الفكر المركب)، ترجمة أحمد القصوار، ومنير الحجوجي، دار توبقال، المغرب، ط2، 2004، ص6، 7.
5. راجع في ذلك د . محمد بنيس، الشعر العربي الحديث – بنياته وإبدلاتها، دار توبقال، الدار البيضاء، ط1، 1990م، ج3، ص48 .
6. راجع في هذا بالتفصيل أدونيس: "تأسيس كتابة جديدة"، مجلة مواقف، بيروت، عدد15، 1981، ص4 وما بعدها .
7. عمر أوكان، مدخل لدراسة النص والسلطة، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ط2، 1992، ص69 بتصرف.
8. د. أحمد أبو زيد، الجسد والمجتمع، استكشافات في النظرية الاجتماعية، مجلة إبداع – القاهرة، ع9، سبتمبر ، 1997، ص9.
9. المرجع نفسه،الصفحة نفسها.
10. د.محمد علي الكردي، نظرية الخيال عند جاستون باشلار، مجلة عالم الفكر،الكويت،وزارة الإعلام،يوليو. أغسطس . سبتمبر ،مج11،ع2،ص208
11. دافيد لوبروتون، أنثروبلوجيا الجسد والحداثة،ترجمة محمد عرب صاصيلا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر،بيروت،ط1993،1،ص6
12. محمد آدم، الأعمال الشعرية الكاملة،مصدر سابق، المجلد الثاني،/ ص27 . 30/
13. المصدر السابق،/ص32 . 34 .
14. د. عادل مصطفى، دلالة الشكل، دراسة في الاستطيقا الشكلية// دار النهضة العربية/ط1/ 2001/ ص65، 66

15. Deleuze, Gilles Felix Guattari. A Thousand Plateaus: Capitalism and Schizophrenia Trsna.Brian Massumi

16. نقلاً عن جيرالد جايلارد، ما الذي آلت إليه السياسة في الفن القصصي الأفريقي المعاصر؟ ترجمة دعاء إمبابي، ص 384، أعمال المؤتمر الدولي الثاني للنقد الأدبي، القاهرة، نوفمبر،2000. إشراف الدكتور عز الدين إسماعيل. وانظر بخصوص ماجد على بنية الوعي العمي التجريبي والفلسفي المعاصر:- توماس كوين، بنية الثورات العلمية، سلسلةعالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ع 168، ديسمبر،1992، ص55، 83 . د. نظير جاهل،المنهج اللاسلطوي في فلسفة العلم، مجلة الفكر العربي، ع97، صيف،1999،ص154. 30 - وانظر أيضاً: توماس كون/بنية الثورات العلمية/ ترجمة/ شوقي جلال/ المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب/ عالم المعرفة/ع/168/ الكويت/ ديسمبر /1992،ص55، وانظر أيضاً: كارل بوبر،أسطورة الإطار، في دفاع عن العلم والعقلانية، تحرير: مارك أ، نوترنو،ترجمة:د.يمنى طريف الخولي،المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، علم المعرفة،الكويت، ع292،أبريل، 2003، ص36 . 40، موسى ديب خورى، النظام والفوضى في العلم الحديث،الجمعية الكونية السورية،1980،ص50

17. د. طارق نعمان، اللفظ والمعنى بين الأيديولوجيا والتأسيس المعرفي،دار ابن سينا، القاهرة، 1994 . جان جاك لوسركل، عنف اللغة، ترجمة محمد بدوي، مراجعة سعد مصلوح، مركز دراسات الوحدة العربية،بيروت،ط1،2005،ص7

18. غاستون باشلار: تكوين العقل العلمي : مساهمة في التحليل النفسي للمعرفة، 1986 .

19. الفكر العلمي الجديد،1983 .

20. فلسفة الرفض، مبحث فلسفي في العقل العلمي الجديد، 1985.

21. السيد أبو الغيض، أصالة العلم وانحراف العلماء،1981 .

22. سالم يفوت، فلسفة العلم المعاصر ومفهومها للواقع، 1986 .

23. هشام غصيب،جدل الوعي العلمي، إشكالات الإنتاج الاجتماعي للمعرفة، 1992.

24. مظفر شعبان، السيرنتيك، فكر مبدع يجسد وحدة الطبيعة 1991 .

25. جيرار جينيت، مدخل لجامع النص، ت: عبد الرحمن أيوب، دار توبقال، المغرب، ط2، 1986، ص5

26. رامان سلون، النظرية الأدبية المعاصرة، ترجمة جابر عصفور، دار الفكر للدراسات والنشر، القاهرة، 1991، ص129 .

27. د . سعيد توفيق، هرمنيطوقيا النص الأدبي بين هايدجر وجادامر.

28. عبد السلام بن عبد العالي، في الانفصال، دار توبقال،المغرب،2008، ص45.

29.د. أيمن تعيلب،الشعرية القديمة والتلقي النقدي المعاصر، نحو تأسيس منهجي تجريبي، المجلس الأعلى للثقافة،القاهرة،2009.، وكتابنا: خطاب النظرية وخطاب التنظير: تفكيك العقل النقدي العربي، قيد الطبع في سلسلة كتابات نقدية منذ أربع سنوات ونصف.



مختارات شعرية.........

اقتراب

أستمر في مداعبةِ البياض والسوادِ

وأقترب من حافة الأبديةِ

ولا أنيسَ ليْ

أسمع كبكبةَ الحجارةِ وتهويماتِ الريحِ

فقط عندما تصطدم الأفلاك بالأفلاكِ

أتشبث بخيالاتي

وأنطلق إلى غير ما وجهةٍ

هكذا أزعم أنني سيدُ الوقت

وأخترق مشيمةَ الموت والحياة

وأدخل ثانيةً في رحمِ الأشياءَ

وأبدأ دورة الفلك الأقصى

آه .....

يالانطفاءاتي المتكررة

يالانطفاءاتي.

محاولة

سيدخل إلى بيته في أولِ الليلِ

وها هو ذا يبدأ في تدوين مخطوطاتِهِ

حرفاً حرفاً وكلمةً كلمةً

وربما نقطةً نقطة...

وينعس قدَّام دواته إذ يعتم الضوءُ

ربما يسجد أمام آخر حرف يريدهُ

ويتهجَّد عند أول حرف يود لو يكونه

ربما يعدِّل من وضع العالم فيضع الموتَ قدام الحياةِ

ويسأل عن ماهية الموتِ والحياةِ

ترى أي شيء يقوله؟!!

أي سماءٍ يريد أنْ يبلغها؟

وأي جسدٍ يود لو يقودهُ؟

هل مازال يفتش عن صَدَفِ الجسد ومحاراتِهِ

وهو غارقٌ في الدوران على الأرصفةِ

إذ يحاول كتابة الريحِ

ويتشبث بقطيفةِ الضوءِ

ويومئ بالرمزِ للإشارةِ

ويكلم الإشارةَ بالرمزِ؟



كينونة

في أي وقتٍ سيدخل السيدُ حديقةَ النرجسِ هذه

ويشتعل ببهاء الرغبة؟

وفي أي وقتٍ سيكتب السيدُ على حوافِّ الجسدِ

هنا تكمن أزليةُ الروحِ؟

هل سيخبئ الشمسَ بين محابرهِ وأوراقهِ

إلى أن تأتي امرأةٌ ما؟

أم سيحتفظ للقمر بتضاريسه ومنعرجاتِهِ تحت سقف بيتهِ؟

هل سيحتفظ لليل بشرائعهِ وسننهِ وللنهار بأغنياتهِ؟

هل سيحنط السماء كالمومياوات ويربطها بالكتان حول وسْطهِ

أم يضعها تحت رأسه كالمخدات؟

ربما يثبِّتها فوق سترته كالخديعةِ

هل له كينونةٌ أخرى تسمى الرغبةْ؟

وما هي شكل هيولاه

إذن؟!

❖ ❖ ❖

ألفة

هكذا...

كان يألف الوقتَ ويجامع الترابْ

شمسه تود لو تفاجئ الليلَ وشمسها حريقهْ

نهاره خطى تقوده إلى متاهاتِهِ

نهارها حديقةْ

كلامه الحروفُ والنجومُ والحصى

كلامها البحر بلا نهايةٍ

جسده النارُ والماءُ والهواءُ والترابُ

وجسدها الحقيقةْ.

سماوات أخرى

أكشف عن سماواتٍ أخرى وأوديةٍ في الليلْ

سأدعو النهار إلى مائدتي والنجومَ إلى طاولاتيْ

في الأركانِ سأجلس منجرداً

وأصطاد قمرها الليليّ الأخضرَ بالشصِّ

وأنزل إلى البحر

هل لكِ من محاراتٍ إذن؟

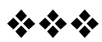
على الزبد اللانهائيّ يتكوم اسمكِ كاللآلئِ

ويتظاهر القمرُ الأحمرُ بالنسيانِ

وعلى مراكبكِ التي تعبر بعيداً عن الجاذبية

سأنسى ما يسمى الليل

وما يعرف بالنهارْ.



هدأة

ربما

يهدأ قليلاً

ولكن

هل سيفكر في الغد وألاعيبهِ ويفك طلّسمات الحلاجِ

وماذا سيقول للنفريِّ إن جاءه يسعى؟

وها هوذا

يقترب من لغة السهروردي المقتولِ بحيطةٍ وحذرٍ

ويلعب بالنيرنجاتِ

ويقيس المسافة بين أرنبة أنفهِ

وحدود الرؤيةِ

بِسَمِّ الخياط

ربما

ربما..!!

شُبه له.

نوافذ الليل

أنفتح على نوافذ الليلِ والنهارِ

وأجمع كراريسي وهاوياتيْ

وأقعد تحت شجرةِ الوحدةِ

لأتدفأ بمحابري وأوراقيْ

بمخاوفي الملآنة بالرملِ والغبارِ

سأرسم وجه امرأةٍ ما

وأكوِّم خلفها تضاريسي المشعة بالحنين والرغبة

وشمسي المنهارة دائماً

على كفلها المترجرجِ كياقوتةٍ

سألهجُ باللذةِ

وتحت سماء الإبطينِ

سأنصب خيمتي الوحيدةَ

وأتجردُ من متاهةِ السؤالِ والجوابِ

وها أنذا

أصطاد قمرَها الليليَّ الأخيرَ بالشصِّ

وأعبر إلى هاوياتيْ

شمسكِ الأليفةُ ستطلع على قمم جبالي المشتعلةِ

وترتفع على منحدراتيْ.



نقطة الدائرة

سيقول لنفسه إذن/

هل الصفةُ أولى بالموصوف من الوصف ذاته

أم أن الصفة أولى بالصفة من الموصوف ذاته؟

ضدانِ أم زوجانِ

نقيضانِ أم......؟

الماء والنار والتراب والهواء

أربعةُ عناصرٍ

فلماذا تنقسم فيك هكذا

وتتحد فيك هكذا؟

وأيهم أسبق بالوجود من الآخر؟

هل تحرقك الأسئلة هكذا

فلماذا تحدق في الشمس دائماً؟

إذن...

لو علمته لم يكن هو

ولو جهَلك لم تكن أنت

فهو لـ هو لا لك وأنت لـ أنتَ وله

أنت مرتبطٌ به ما هو مرتبط بكَ

والدائرة مطلقةً مرتبطة بالنقطة

والنقطة مطلقةً

ليست مرتبطةً بالدائرة

نقطة الدائرة

مرتبطة بالدائرة

فكيف إذن تنسى؟!!



أيتها الأبدية

لرنينكِ

هذا الذي يخرج مكتظاً بالوحشة

لشمسكِ

تلك العاصفةُ التي تطّرد بانتظامٍ

سطوعكِ القوي أيتها المقدسةُ

سيشرق على الجهات كلها

قمركِ أيتها الأبديةُ

سينجرف ناحيتي

ويعرف الطريق دائماً إلى صحراواتي

حينما يندرج الليل تحت نوافذي

سأخبئ هذه النجمة الوحيدة لكِ

سفنكِ الآتية من الجهات كلها

سترسو بشواطئي

شموسكِ التي تهب من الأقاصي

ستتعرف عليّ أحياناً

نهاراتك التي لا حصر لها

ستتجول بحريةٍ أمام منزلي

جسدكِ القوي الذي يشرق على الجهات كلها

سأسكنه بأقاصيَّ

وسأقول لكِ عندئذٍ:

أيتها الأبدية

أنتِ مأواي.

❖❖❖

دحرجة على عتبات اليقين

فقط

أقترب من المجاز

وأطفئ مصابيحي في الليل والنهار

وأدع العتمةَ تعصف

أربي اللغة تحت سقف بيتي كالأرانبِ

وأتلصص على المعنى

بحيطةٍ وحذرٍ

أدَّحرج على عتباتِ اليقين

وأسأل:

ما هيولاكِ أيتها المرأة؟!



لذاذات

ها هي ذي أشجاركمْ

تحطُّ على موائدي

فكيف أترك لذاذاتي إذن ـ تبيض وتفقسُ في العتمةِ ـ

وأنام هادئاً في الفراغ المحيطِ بيْ؟



محارات فارغة

.../أعرفُ/ أعرفُ/ أعرفُ/

لم يكن لي أن أحيط باسمها

ولم يكن لها أن تتعرف إليَّ

هكذا

كانت المرأةُ تدعوني بالألف

وأدعوها بالياء

تقترب مني بمقدارٍ

فألتصق بها

تلتف عليَّ آناء الليلِ

فأجمع لها من كل وادٍ

ما يناسب اسمها من كمالاتٍ وضلالاتٍ

قراءاتك لا حصر لها أيتها المرأةُ

وعقيقُكِ يخرج من بين الصلبِ والترائبِ

ومحاراتي فارغةٌ.

أن يكنس بيديه الغبار

له

أن يسير كالهاوية

وأن يتأبط الفراغ كالفريسة

وينام وظهره إلى الفضاء

دائماً

له أن يرفع سبابته بلا حماسةٍ في وجه العالم

وأن يستند بجذعه إلى

التناقضات

وأن يسند رأسه إلى الحافة

له...!!

أن يدفع عن نفسه الجنونَ بالمماحكات

وأن يكنس بيديه الغبار عن القبةِ.

أبراج الليل الجهنمية

على أبراجِ الليلِ الجهنميةِ

سأفتح نوافذ الذكرى

وأدق على بوابات النهار الصُّلبةِ

بفوضى الليل وتناقضاتِهِ

وحيداً

سأجثو على ركبتيَّ قدام كتائب الريحِ

وأغسل تراب الجسد ببهاء الرغبةِ

وأندفع كهاويةٍ.

نحاس الرغبة

على حوائط الذاكرةِ المنحوتةِ

بنحاس الرغبةِ وقصديرِ الجنسِ

سأخيط اسمكِ باسمي

وبأصابع الزمن المبتلةِ

بالموتِ والحياةِ

سأدون ما لكِ من فتوحاتٍ وأسماء.

❖❖❖

هذا ما يحدث في الليل دائماً

في الليل

وعندما يشرق الظلامُ بعباءاته الفضفاضةِ

أناديكِ بأعلى صوتيْ

أيتها الحبيبةُ باللذاتِ

صلواتكِ التي توجهينها

ناحية الربّ

دائماً

تنزل على صحراواتي المنخفضة

مطراً وتفاحاتٍ.



معارج

الكلام لا يشبهك

ما من نجمةٍ إلا وترنو إليكِ

قمرٌ وحيدٌ يقف على شرفاتكِ

أوديةٌ كثيرة لا تسيل إلا إليكِ

شمسك تفاجئ الليلَ وقمركِ يباغته

هل لسماواتكِ من معارجَ؟

وهل لصلواتكِ من مراسيم؟!

كأنما

كأنما

ليستند إلى حافّةِ الريحِ

كأنما

سيكورُ الأرضَ

كاللفافة

بين أصابعهِ

ويطوِّح بها إلى الفضاءاتِ

وها هوذا

يرسم آنيةَ الوقتِ

على شجر الوقتِ

ويكلم النهاياتِ

بلا نهاياتٍ.

المجرات تنام تحت سقف بيته

لماذا

يفتش في إشاراته التي لا تشبهكِ دائماً

عن الشمس التي تشبهكِ دائماً.؟!

وفي الليلْ

يُدخل المجرات تحت سقف بيته

ويتفحص قبة السماء بيديه

ولا يعبأ بعواءاتِ الريحِ؟

فقط

سيغتسل عند كل هبَّة

ويتوضأ بدمه عند كل ركعةٍ

وبعد كل صلاةٍ

يقود قوافل اللغة

ويجلس إلى كراساته وأهازيجه

لماذا إذن...

يفتش في إشاراتهِ التي لا تشبهكِ دائماً

عن شمسكِ التى تشبهكِ دائماً.؟!



وردة النحاس

/...

إذ ذاك/

كنت قد تبعته/

وهو/

يعدو/

بأشجارهِ/

لبرهةٍ/

أزاح وردة النحاس هذه/ واحتفى بما لهُ/

فاستراح تحت ظلهِ/

أطلق طيره الأخيرَ/

خلفها/

وها/

قد هوت نجمةٌ/ من مائها/

على مائهِ/ فاحترقْ/

❖❖❖

هوذا جسمه كله لها

ها هو ذا

يلقي بأوراقه إلى الهواء

ويطوح بفضاءاته إلى الهاويةِ

ويبعثر الزمن خلف ظهره

كالفضيحةِ

ويقتفي أثر امرأةٍ ما

لم يعد يعبأ بما يسمى بالوجودِ أو العدمِ

فقط

يقف على حافّة الجنون

ولا شبيه له

يطبطبُ على كفلِ الوقتِ

وينصب خيمته بإزاء عرشِها

هوذا جسمه كله لها

وجسمها كلها له وها هي ذي لا تعبأ به أو تلوح له/

مكتفيةٌ ـ هي ـ بذاتها عن ذاتهِ وهو

هو مكتفٍ بها عن كل ما له

هي الليلُ

وهو النهارُ

فكيف يشرح لها ما به

وكيف تشرح له ما بها.؟!



عن محنة العاشق

الجسدُ يغتسل ببهارات الضوء

الوقت الذي لا شبيه لهْ

يغزل بيديه الصغيرتين صديريةَ المرأةِ التي لا شبيه لها

لم أزل نائماً قرب وردة الجنيد

ولم يقل لي الحلاجُ شيئاً عن محنة العاشقِ

هل يشرح لي النفريٌّ مفاتيح الكلامِ؟

وكيف يقيس كلام العاشق

بعطر الوردةِ؟

وكيف يقول عن الوردةِ

تشبه لغة العاشقِ؟!

هل...

كتبت اسمي على شجرة الريح أيتها المرأةُ؟!

على جسمك أكتب أغنيتي الأخيرة

له

أن يسير في العتمةِ

وأن يشبك الريحَ في لجَّةِ الوردةِ

هل يقرأ كتاباتِهِ للهاويةِ؟

أم يمشي وحيداً على منحدراتِهِ؟

لماذا تشبه عينكِ الوردة؟

هذا النهارُ كراساتٍ لأغانيكِ

شمسك هاويةٌ تظلل الوقت

بينما عنقكِ يلون الفضاءَ وصدركِ يشعشعه

أصعد على كفلكِ المترجرج العالي

وعلى كثبان الجسد ـ بمصاعدهِ ومهابطهِ ـ

أكتب أغنيتي الأخيرةَ

وأتطلع إلى عينيكِ

إذ تشرقانِ

وعلى سفينةِ الجسدِ الفضفاضةِ

سأتجه إلى مواقيتي

وسُننيْ!!



العاشق يسأل الطريق دائماً

ما لهذا العاشقْ

يتمتم بتعاويذه ـ كالمجانين ـ ويسأل الطريق

يقرأ صلواتِهِ على الأرصفةِ

ويولي وجهه شطر الريحِ

يقيم الولائم لخيالاتهِ وانكساراتهِ

هل سيسهر قرب شجرة الوحدةِ

ويتهجى الحروف دائماً لشمسهِ؟!

لماذا يولي وجهه شطر الريح دائماً

ولا يعرف شيئاً اسمه اللغة؟!

يتمشى على منحدراته

له أن يسمي الأشياء بأسمائها

له أن يركب عربة اللذة الخاوية ويجادل الفوضى

له أن يشتبك مع الريحِ في غيبةِ الزمانِ والمكانِ و..

أن يفك أربطة الوقت عن شجر الوقتِ

ربما

لا يفضي إلى الشوارع بما يعتوره من هزائمَ وخساراتٍ..!!

له أن يطعن اللغة بخناجر الحروفِ الملوثةِ

بالأحقاد والثارات

ولا يعبأ بأى شيءٍ

أو يجنح بخيالاته إلى ميتاته التي لا تعدُّ

له أن يبحث عن الليلْ

ولا يؤرقه مايعرف بالنهارْ

ويدخل إلى حديقة النهاياتِ

ولاشريك له

ويتمشى على منحدراتِهِ

هل تصبحه المرأة في الوقتِ؟

أم يصادق التهلكةَ

والمراراتِ؟!



إلى أن يترك كل شيء

كان يفتش بين اللغة عن اللغةِ

ويشتبك مع الريحِ فى عراكٍ وشفاعاتٍ

يدخل إلى متاهةِ الوحدةِ

فينجرح على شفا جُرُفٍ هارٍ

ويدَّحرج كالبالونةِ

بين الشيء ونقيضه

ربما

كان يفرك الزمنَ كاللفافةِ بين أصابعه

ويطوي السماءَ

كطيِّ السجل للكتبِ تحت إبطه

ويجمع النجوم كالدُّر إلى صندوقِ عادياتهِ

ويجلس إلى تناقضاته وآفاقهِ...

إلى أن يترك كل شيءٍ لكل شيءٍ

ويشتبك مع الريح فى عراكٍ

وشفاعاتٍ..!!



ولوج في الليل وولوج في النهار

على سدرة الريح

واقف أنت أيها المتأرجحُ بين الموتِ والحياةِ

كالضلالاتِ والخطيئةِ

ترقب ولوجَ الليلِ في النهارِ

وولوج النهارِ في الليلِ

أو ترقب انسلاخَ النهارِ عن الليلِ

وانسلاخ الليل عن النهارِ

هكذا

لا شأن لك بي

ولا شأن لي بك

أتربص بك إذ تروحُ أو تجيءُ أو تنطفئُ

وتتربص بي

إذ أروحُ أو أجيءُ أو أنطفئُ..

في كل ليلةٍ

سآخذك كالضلِّيل إلى هاوياتي وقيعاني

وأتوقف بك أمام كل علامةٍ

لتتوقف بي عند كل معني

ألك من علامةٍ لأنتهي بك لك؟

وما لي من معنى

لأنتهي بي لي؟!

إذ أتدثر بهاوياتي

إذن...

أتدثرُ بهاوياتي

وأنزل إلى قيعانِ النومِ

وأشد أغطيةَ الحلم

المكتظة بالكوابيس والتخيلات

لا أقتفي أثر ما كان وما سيكونُ

أتلون بكل جسدٍ

وأحلّ بكل جسدٍ

وأقعد على بوابات العالم الخربةِ

وأسند رأسي إلى كل ما يتداعى

أصطاد سمككِ الأزرق بالشصِّ

وأكوم النجوم تحت رأسي كالحجارةِ

وأتجول منجرداً بين تخيلاتي

وما يلوح ليْ

أصنع ما يليق بي من شرائعَ وطقوساتٍ

وأضع العالم في جيبي

وأتجول بحريةِ الجسدِ

والتصوراتِ



توافقات القاع

أضحك من بلاهةِ الليلِ

وهو يلملم عباءة النهار على سجادة الوقتِ

وأضحك من بلاهة النهارِ

وهو يشعل سراج الليلِ

بيديه الداميتينِ الملوثتينِ

بدم البارحةِ ومشاغل الأمسِ

إذن

اتركي ليَ أن أهويَ إلى حافة الوقتِ

وأدَّثر بجلابيبي الباليةِ

وأسمالي الرثةِ

لا أسألكِ عن هيولي الموت وعبثيةِ العالم

فقط

أتوافق مع القاعِ

وأنوش الهاويةَ المنجرحةَ

بالهاويةِ المنجرحةِ!!

❖ ❖ ❖

وحيداً أتبلبط على رمل القاع

هكذا

تتدافع الأعضاء عضواً عضواً

أكنس نشارةَ الزمنِ بالحواسِّ الخمسِ

وأبدأ رحلة اللانهاياتِ

هذه

أركل الغبارَ بالأقدامِ واللامرئياتِ

وأخلط الشيء بنقيضه

وأموِّه على المارةِ

أربط الموجةَ بالرملِ

والبحرَ بالزبدِ

وأجرهما بعيداً عن الشاطىء وما يعرف بالجاذبيةِ

وأتبلبط وحيداً على القاعِ

وأقيم مملكتي في الوهدةِ.



هناك

هناك

في هذا الحد الفاصل بين الرغبةِ وكمون الرغبةِ

بين المعرفةِ واللاحقيقة

لا أعبأ عادةً بالوقت ونقيضهِ

لا أعرف ما هو الموت

ولا ما هي الحياة

أتفرع كالسراطينِ فى الإمتداداتِ

ولا أستظل إلا بيْ

هناك

تحت جواهر الوقت

وحمأ الصيرورةِ المسنونِ

أدحرج الحقيقة كالبالونةِ الصغيرةِ بين إصبعينِ من أصابعي

وأكشف عما في اللغة من خيانةٍ

وفي التصاوير من هلاوسَ وتصادماتٍ

وأبدأ من المحيطِ إلى المركزِ

ومن النقطةِ

إلى الدائرةِ

ومن الدائرة إلى النقطةِ

إلى أن أقف في اللا شيءِ.



حلم

أتخطى حواجز الألوان

ولا شكل لي

أرقد وحيداً على جزرِ المرجانِ

وأرتطم بالشاطئ

وأذهب مع المد والجزر في وحدةٍ

وأقهقة قهقهةَ المنفلتِ من أسر العادةِ والمادةِ

وأتجول بحريةِ الحواس واللذةِ

فلا أبرح قاعداً في الزمانِ والمكانِ

وأنطلق إلى زمردات الأبد والأزل

فلا أقبض إلا على السِّوى

أنا الميت الحيُّ

أكتب: أنا أنت لا أنت أنا!!

❖❖❖

يا لها من فوضى

هل يأخذ حروفَ اللغةِ

حرفاً حرفاً

وكلمةً كلمةً

فيدقها بالمدقَّاتِ

لكي يتفرغ لانبجاساتهِ

وتطلعاته؟

وعن أي شيء يفتشُ؟

وفي أي شيء يفكر؟

وهو لمّا يزل يراقب الشمسَ

من فوهة غرفتهِ التي تشبه السجنَ

فتحاصره الكلماتُ والحروفُ

كالثعابين والسحالي

وهي طالة برؤوسها الشعثة المغبرةِ

وعيونها التي تطلق شرراً وحتفاً؟!!

وإذ يحاول أن يوقفها عند حدٍ

لا يستطيع دائماً دائماً....

محاولاته تبوء بالفشلِ

يتذكر أن امرأةً ما

عليه أن يقابلها بعد ساعةٍ

في مكانٍ ما

بينما يتوجس خيفةً من كل شيءٍ

فيركل كل شيءٍ

بكل شيءٍ

ويدوس على أوجاعه وصراخاتهِ

بالضحك واللا مبالاةِ

هل يصعد فوق حواف خرائبهِ وضلالاتهِ؟

هل يقبض على فوضاه من غلاصِمها

ويطوحِّ بها إلى الفضاءاتِ؟

لا يعرف...

هل يضحك أم يبكيْ؟

هل يفتش عن العالم وهو دائماً مسكونٌ بالعالم؟

هل يفكر ثانيةً...

في امرأةٍ ما؟

يا لها من فوضى!

❖ ❖ ❖



أيها النهارُ:

اقبض عليَّ بهلاوسك اللا نهائيةِ وأنشوطاتِك

أيتها الأبديةُ:

امنحيني حقيقتكِ اللامرئية

لكي أخترق قطيفة الزبد هذه

وأجعل النوارس تتسول القياماتِ

غيِّرني أيها الليلُ

حتى أتعرف إليّ

انقبض وانبسط

أيها الوقتُ

إلى الحافّة لأتشمم رائحة أغنياتك التي تشبه الدمَ

وبخياشيمي المثقلةِ بالموتِ والغبارِ

أطأ مجراتك

وأمسك بجلابيبك وطاولاتك

انعصر بين يديَّ أيها السيد الجسدُ

حتى أتحسس ما بخلاياك

من حقيقةٍ ونكهةٍ.



هوائيات الجنس

كان يألف الوحدةَ ويجامع الريحَ

له أن يدخل إلى خزينةِ الرمادِ هذه

وأن يكتب ما لا شكل له ولا نكهةً

أن يفتش بنفسه عن فجائعِهِ التي لا يذكرها

وخيباته التي لا تحصى

له أن يزيِّن لنفسه ما يشاء من الخرابِ والفتوحاتِ

له أن يصنع وردةً من النحاسِ الأزرقِ

والقصديرِ المدقوقِ بذهب الرغبةِ

وهوائياتِ الجنسِ والرطوبةِ

له أن يقتفي أثر المرئي واللا مرئيِّ في تطوحاتِهِ

وأن يخلط رخامَ المادةِ

بهسهسة اللذةِ

ويقف على حدود الأقاصي

ولا شيءَ معهُ

هل يشرف بنفسه على ميتاتِهِ التي لا تعدُّ؟!!

صهوة المادة

سأبتعد كثيراً عن مجازاتِ اللغةِ

وأدخل في وهوهةِ الألوهةِ

وأكون منفرداً

كالضالين

وأقترب من كينونةِ الجسدِ

بلا منازعٍ

ولا أعبأ كثيراً بالتآويل

وأمتطي صهوةَ المادةِ لأشرف على المداراتِ

وأحمل الزمنَ خلف ظهري

كالفضيحةِ

وأبتني على حدود المجراتِ

ما أراه ملائماً

ليْ.

حب

عندما

تقبلين كفراشةٍ

أترك لروحي المتسخةِ

أن تستحم على رمالكِ المشمسة

بالحنين دائماً

وبالرغبةِ أحياناً

وعندما

أسمع صوتكِ الذي يشبه حفيف الملائكة يأتي من بعيدٍ

أفتح جميع نوافذي

لأتطلع إلى عينيكِ إذ تشرقان.

تكومي أيتها الأبدية

تكومي أيتها الأبديةُ

على شواطئِ البحارِ والمداراتِ

تخومكِ التي

لا نهايات لها

سوف يتعرف عليها العاشقُ بنفسه

ربما

يتوقف أمام شواطئكِ الملآنةِ بالأشلاءِ

والتناقضاتِ

ويمسح الغبارَ

عن أغنياته التي تأخذ شكل اللذةِ

أيتها اللذةُ الممعنةُ فى القسوةِ

شمسكِ الملتهبة

تعرش عليّ

و... سماواتُكِ غير آهلةٍ

رماد أخير

يقترب القمرُ الأحمرُ من براريكِ اللا نهائيةِ

فيحبس الليل أنفاسَهُ

وتجلس النجوم على ركبتيكِ

لا أسميكِ

أنتِ الليلُ ونقيضهُ

لرمادك رائحةُ النارنجِ

ولأغنياتكِ

عذوبةُ الوردة

لشمسكِ ظل الأبديةِ الدائمُ

ولشفتيكِ

نبع ماءٍ

جسمك كتابةُ الألوهةِ

في ساعة الصفو

لماذا تتركين رمادكِ الأخيرَ ليْ؟!

اقتفاء أثر

سأقتفي أثر الجسد ذي المعارج

وفي اللغةِ

أهتف: أيها الجسد يا إناء الروح الفارغ

أيتها الروح يا حقيقةَ الجسدِ المندثرِ

وأهتف بما يليق بي من وهوهاتٍ

وأهب الجسد حريةَ الوضوح والحقيقةِ

وأعلن على الملأ:

لا حقيقةَ إلا هو

له الأسماء الحسنى

أدعوه بها

وأقبض على الشمس

وهي...

تتلصص عريانةً

علي شريعةِ الجسدِ وتطوحاتِهِ.

أبخرة الروح

شمسكِ الناصعةُ ستهب على أعاصيري

أشعتكِ المزدهيةُ أيتها الزمردةُ

ستنعكس على مراياايَ ووقتيْ

سأقف على حافة البحرلأستكمل تأملاتيْ

لا

لم تكن يدُكِ الرحيمةُ هي التي لامستْ روحي

فقط

تلك أبخرة الجسد

إذ تتصاعد كصلواتٍ غامضةٍ

لتقود خطواتي

لا

لم يكن قلبكِ المليء بالزمردات هو الذي انتشلني

فقط

تلك عينكِ التي تفيض بالدعةِ

على قمم جبالكِ المشتعلة بالحنين دائماً

أيتها الرحيمة

سأقود قوافل الريح

إلى أن تقف في مراعيكِ اللانهائيةِ.



سخونة الفراغ

أتمدَّد على حصا الشاطئ

وأمسك بصناراتِ الوحدة

وأغزل من الزبد الأبيضِ جسداً لامرأةٍ لا أعرفها

وأتبلبطُ في سخونةِ الفراغِ النفَّاذةِ هذه

وأكنس الغبارَ والأسماءَ

عن موائديْ

هواء الأنوثةِ يقف شاخصاً لي

هذه ـ هي ـ أرضُ الأنوثةِ اللزجةِ المكتظةِ بالعزلةِ والسخونةِ

فاخلعْ نعليكَ إذنْ

واقترب من حقيقةِ الاسم والمسمى

وانتصب كقارةٍ غارقةٍ وطافيةٍ

وابحث لنفسك عن يواقيتك وأقمارك

فها هو ذا الليلُ قد انتهى ولمَّا تقضي وطرك وحاجتك بعد

ولا تتوقف تحت شمسِ القيظِ هذه

فما أنت من أهل هذه البلدةِ

وما أنت بخالعٍ إزارك وتمائمك

وألقِ بك في اليمِّ

فليلقك اليمُّ بالساحلِ

وتخفف مما أنت فيه لما أنتَ فيه

يا إلهي

أي عزلةٍ هذه؟!!



فيما هو يفكر

ليس لأيامه من معنى

وليس لكلماتِهِ من رائحةٍ سوى الفوضى

هل

يأخذ حروف اللغة ويلقي بها كالنفايات؟

ربما

يحبس غيومه إلى الأبد في قفص الريح

وماذا سيفعل بأحزانه التي تنوشهُ

كالفقاقيعِ

وتلتف حول رقبته

كالثعابين

وفيما هو يفكرُ؟

هل ثمة يقينٌ

إذن؟!

فوضى

لمَ لا يصعد إلى الهاويةِ

ويصرخ بأعلى صوته:

هل أتشبث بزعفرانِ الموتِ والخطيئةِ؟

لمَ لا يلف قوس قزح حول رقبتهِ

ويتوكأ على خراباته وانكساراتِهِ؟

سيقول لامرأته:

إذنْ

اطفئي نارَ المحبةِ

وليندغم الأزلُ فى الأبدِ

والأبدُ في الأزلِ

ليس هناك سوى الفوضى!!



صيرورة

ها هي الشمسُ عريانةً

تستحم في زبرجد الأفقِ وهي...

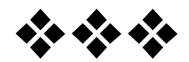
هي إذ تنكشف تغطي سوءتها بآلة الوقت

بينما القمر يترجل وحيداً

في سماواتِ الوحشةِ

والنجوم لألاءةً

تقتفي أثر خطواته



أجزاء

كان يقف على حافَّةِ الغيمِ

ويطلق صفاراته للريح

ويجمع بين النقيضين

ويؤلف بين الضدِّ

والضدِّ

في حقيقةٍ

وبين الجسدِ والروحِ في خميرةٍ واحدةٍ

ويستولي على الكل

بالكل

ويقول لأشلائه:

....

....

تلك أجزاؤك أيها المنتهي.

أيتها السيدة

لصوتكِ طائر أخاذ

لشمسكِ أعاجيبْ

ولفضاءاتكِ طلّسمات وأحاج

سماواتكِ غاصة بالنجومِ

وحجركِ مزين باللآلئ والحجر الكريم

عواصفكِ مملوءة بالسهر والحمى

وقلاعك مسيجة بالسوسن والظل

محروسة أنتِ بكل أخاذٍ مناعٍ

ومرهبةٌ كجيشٍ بألويةٍ ودروعٍ

آخذةٌ أنتِ لزينتك من كل شيءٍ بشيءٍ

وعليكِ يتلصص الليلُ والنهارُ

من فُرَجِ الوقتِ والقنوطِ

هل لصباحاتكِ من ممرٍ

أيتها السيدةُ؟!

محبة لا بشرط شيء

من المرأة التي تدخل القلبَ بلا منازعٍ

وتخرج منه كالشوكةِ؟

من التي تدع في الذاكرة من الأوهامِ والضلالاتِ ما لا عينٌ رأتْ

ولا

أذنٌ سمعتْ؟

من التي أغوت فأضلت

وملكت

فأقلت

وعصفت

فمحت

وقصفت

فعصفت

وغابت

فآبت

وأوجعت

فأسقمت

واختفت

فبدت

واحتجبت

فانكشفت

وانسحبت

فأطلت

وضحكت فأبكت وبكت فأوجعت ونامت فأسهرت وقامت فأقعدت

وهامت فأيقظت وهاجت فهيجت وماجت فتمادت وسكرت

فأسكرت وتهدجت فزلزلت وأسْرَت فأدلجت وأشارت فأومأت وقالت

فأوجزت ووعدت فأخلفت ونأت فدنت ودنت فنأت وجاءت فأوجأت

وكشفت فسترت وخطّت فمحت وتكلمت فأيمت وهفت فهفهفت

وتولت فتجلت وهيمت فهومت وأحلت فحرمت

من؟!

من المرأة التي تدخل القلبَ بلا منازعٍ

وتخرج منه كالشوكةِ؟

تكرارية

[مهداة إلى ص.ع]

أخرج من جنس العاداتِ المكرورةِ

إلى صفةِ الليلِ اللامكرورِ

أطرد عن نفسي شهواتٍ زائفةً

وأصاحبُ ضوءًا لا يعرفني

أتبلبط فوق الجسد الرخو

وأحمل فوقي أيقونات الرغبة وتفرسات الزمنِ

وأملأ جيبي من لغةٍ لا تشبه هذي اللغةَ

إلا في صفة الليلِ المكرورِ

وأتركها قدام سراويل الريحِ

وإذ تذروها فوق الطرقاتِ المتعرجةِ الضيقةِ الخربةِ

أنعس قدام قرابيني وأواصل سهري وصعودي

أسكب حزني فوق الزمن الممتدّ

وأدخل في جنس العادات المكرورةِ

في صفة الليلِ المكرورِ

وأقول:

وداعاً للأشياء المكرورةْ.



غوايات

سأحرُثكَ

أيها الجسدُ بالمحاريثِ

وعندما ينطفئ الضوء

سأشعل ما بك

من مصابيحٍ

وغواياتٍ.

مراودة

ربما

أظل دائماً في الفراغِ هكذا

أتعلق بخشب اللغةِ وحصا الرغبة

وأنام ممدداً قدميَّ الباليتينِ تحت سنط الظهيرة الفظِّ

وأتأبط قوافل الفوضى حاضناً سفا العدمِ الشوكي

وأسند رأسي إلى الهاويةِ

قل لي أيها الجسد:

هل لك حاجةٌ في كل حاجةٍ

ولك معنى عند كل معنى؟

وعند أي سلطانٍ من سلاطين الشهوة

ستتوقف قوافلك المهزولةُ هذه؟

ومتى أجيء لك من كل شيءٍ بشيءٍ

وأدَّثر بك فتتدثر بي؟

مهلاً.. مهلاً

أيها الوجعُ المسكونُ بالعروقِ والأصلابِ..!!

سأطوف حولك وأقذف بالجمراتِ

ولا أعصي لك أمراً

وأتبعك في الأقاصي.

* * *

حطام

هكذا

أبحث عن الخراب والمداهناتِ

أترك ما لا يجيء لما لا يجيءُ

وأهب الليلَ حريةَ البحث عن اللذةِ

وأؤاخي بين البحرِ والرملِ في سلةٍ

وبين الحصا والورد

في فضيحةٍ كاملةٍ

وأقف على ساحل البحرِ غريقاً

ربما

تسقط نجمةْ

ربما قمرٌ يجيء

أو يسقط الماء في الماءِ

ربما تعثر اللغةُ بالحرفِ

أو يعثر الحرفُ باللغةِ

ويقف الفضاء شاهراً حطامه.



قبة الروح

لي أن أسأل الحجرَ

[ليت الفتى... ياليتني حجرُ...]

أتوقف أمام طائرِ اللغةِ

وأشحذ سنبلة الضوء وأطيِّر الريحَ في الريحِ

أفك عقدة الفضاء بالمناوشاتِ...

وأطلق فراشاتي الليليةَ

وإذ..

أتأهب لملاقاة النومِ على أرائك الحلمِ الفضفاضةِ

أستسلم لسلطانِ اللذةِ والعادةِ

وأخضع لغوايات المادةِ

وأكتب على سنديانة الجسدِ:

الجسدُ قبة الروحِ

الروحُ معنى الجسدْ.



هي

هي

الحركةُ والسكونُ

الضدُّ الذي يدل على المضدودِ

البرزخُ بين النوم واليقظةِ

وهي الوجودُ والعدمُ

الوردةُ وجرح الوردةِ

الكلام/ وما له من معنى

الطريقُ الذي لا ابتداءات له

والفضاء الذي لا نهايات فيه

فبأي لغةٍ أصف ما أرى؟

وهي

هي كل شيء!!

....

....

....

أي وهمٍ يجرجرني

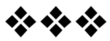
حتى أتكسَّر على عظامِ السموات والأرضِ هذه

وعلام تُذهب نفسك حسراتٍ

هل أنت باخعٌ نفسك على كل شيءٍ

آه

يا سماءَ العذاباتِ والوهمِ..!!



خط النهايات

أتوكأ على سلالمِ الفراغِ

وأصعد على حصا الشهوة

خطوةً إثرخطوةٍ...

أقودُ قوافل الريح كالضلّيلِ

وأتسكع على الشطوطِ خَرِباً وخاوياً

أستسلم لغواياتِ المادةِ وزغبِ الأنوثةِ الأخاذِ

وأصرخ:

لماذا يتجمعُ العالمُ بين فخديكِ كالياقوتةِ

وعلى خرائط السرةِ وحدائق البطنِ

تقوم المدنُ اللامرئيةُ إلى غير ما نهايةٍ؟

هل يغير التاريخ من وجهتهِ؟

ولماذا تتوزع الغاباتُ بانتظامٍ على جسمك المنتفض المضيء؟

إذن

هناك يتشعشع القمرُ

وتلتف النجوم كالضحى

وتتوقف الشمس

عند خطِ النهاياتِ

دائماً

دائماً.

❖ ❖ ❖

شمس نائية

أمسك بفراشات الضوء الشاردة وأتسلطنُ

جذعكِ الأليفُ غابة أليفةٌ

من الصندل والبهار والحبقِ

شمسك نائيةٌ وبها أضاليلْ

قمرك مملوءٌ بالكواكب المنتثرةْ

حديقتك عليها ألف كوكبٍ وكوكبٍ

وسرتك مجرةٌ لوحدها

خصرك غابةُ أرجوانٍ ناعمٍ و.....

صدرُك جنةُ عدنٍ التي لا تنسىْ

أنفك بئر عطرٍ ومودات ٍ

وبطنكِ سماءٌ صافيةٌ ولا تعوزها النجومْ

جذعكِ منبع أنهارٍ وشطوطُ عصافيرٍ

وعينك عليكِ كالجناتِ

أيتها المرأةُ الغريبةُ:

جنتكِ الجحيمُ

وجحيمك الجنةْ.

❖ ❖ ❖

لا نهايات

ما لهذا العاشق

ينتظر المرأة في الأوقاتِ

ويكتب على الجسد بكلام الجسد ما له من غوايةٍ

هل يفتش عن ماهيات أخرى للجسد

بما يعرف له من نكهةٍ؟

هل فتوحاتُ العاشقِ

لا نهايات لها ؟!!

❖❖❖

سماء العدم

سأدلك على أسماء الجسد وغواياتِهِ الأخيرةِ

وسأجلس أمام جسمي وأرتب أمراً ما

وأدخل فى وهوهة الزمنِ وغابة التخيلاتِ

وأحدق في فراغ الأبدية الضخمِ

وأنتشل غرقاي من عفونة المادةِ

وأسبِّح تسابيحي الخاصةَ

وأترجَّل في سماء العدمِ

ولا شأن ليْ

بي.

مسافات

ليْ

أن أقول أنتِ هاويتيْ

لكِ

لغةُ الماءِ

وكلامُ الرمزِ والفوضى

لكِ

حيويةُ الجسدِ وشجرةُ اللذةِ

لكِ

كينونة الرؤيا

وليَ

البحث عن متاهةٍ

لكِ

ما يغلِّف الوقت من تصاويرَ

وليْ

أن أبحث عن الفضاء الذي أنتِ فيه

فأي فضاءٍ هو لكِ

وأي مقامٍ هو لي؟

* * *

في ما لا يسمى

سأقبض على الجسدِ بصنارة الروحِ

وأدع الشمس في رحم المحارات

وأتوكأ على حقيقة الاسمِ والمسمى

وأعرف من اللغة ما يقربني إليكِ

فلا أبتعد عنكِ إلا بمقدارٍ

ولا أقترب منكِ إلا بمقدارٍ

وما بين حقيقة القربِ وحقيقةِ البعد

أنتِ... أنتِ..

حقيقةُ ما يسمى

وما لا يسمى.

مجمرة السؤال

تحت شمسِ المجازاتِ

واقفةٌ أنتِ

فبأي لغةٍ أصفكِ لي؟

وكيف أصفني لكِ؟

وها أنذا

أخرج إليكِ كالضِّليلِ في الغسقِ

ومواطن الوطءِ والقيظ هذهِ و......

بي من الوجع ما أحيط به

وما لا أقدر على الكشف عنه

فى أي سماءٍ أنتِ

وعند أي هاوية؟!!



تسكعات

كان يتسكعُ على أرصفة الليلِ الرطبةِ

فيما يبحث لنفسه ـ كالعادةِ ـ

عن الرغبةِ الأخيرةِ

لماذا..

يتذكر حكايةَ العشاءِ الأخيرِ بغتةً؟

وها هوذا

يفتش عن سماواتٍ أخرى للجسدِ

وأسمائه التي يتشبث بها ـ في حِجْرِهِ ـ

كالحقيقةِ

ها هي الرغبةُ قد نهرته

واستبدت به المعرفةُ

هل كان نيتشة يدرك أن سالومي

تفتش عن ذكورةِ الليلِ في أنوثةِ النهارِ

وأنوثةِ الليلِ في ذكورةِ النهارِ؟

له

أن يقيس الأبديةَ باللحظةِ

ولا..

يقيس اللحظةَ بالأبديةِ.



يجلس الأبد

أقبض على البصيرةِ بالحواسّ الخمسِ

وأتشفع لما كان

وما سوف يكونُ

وما هو كائنٌ

هنا..

يجلس الأبدُ

ويتقدم الأزلُ

في...جحافلِ الريحِ.

حكاية

هكذا

هكذا...

كان يقهقه النفريُّ ويومئ إلى شجرةِ الجسدِ الجامعةِ

الجسدُ مفتاحُ العالمِ

بين الجسدِ والجسدِ برزخٌ لا يعبره النهارُ إلا بالليلِ

ولا يجتازه الليلُ إلا بالنهار

العالم يفقد أطرافهُ

وأسطوانةُ الجنس دائمة التحولاتِ

هكذا يكون الحرفُ

هكذا تكون العبارةُ

والحروف أمةٌ..!!

هل ضاقت بك العبارة فاتسعت حقيقةُ الرؤيةِ

أم ضاقت الرؤيةُ

فاتسعت حقيقةُ العبارةِ؟!

صراخ

أصرخ:

منِ المستندةُ على الوجع بخرائبها؟

من التي تمسك النار بأصَابع الريح وتشعل الوقت في الشوارعِ؟

من التي تستند على فحمة الروحِ

وتخلط الماءَ بالنارِ

وتكتب على حائطِ الأبديةِ الضخمِ:

لا شريك لي؟!



سيدة الشفاعات

سماواتكِ

أبعد مدى من سماواتِ الضحى والليلِ

صدركِ

جنة عدنٍ التي لا تنسى

عينكِ عليكِ كالمشكاواتِ

هل

لشمسكِ من مستقرٍ أيتها الأنيسةُ الشفيعةُ فنسعى إليك كالمطّوفينَ

ولا نلوذُ إلا بكِ؟

وإذ..

تنضو الأجساد كالهياكلِ على حوافِّ جسمكِ الأثيمِ

تتكالب الأفلاكُ باحتدامٍ

وتحترق الرغائبُ

يا سيدةَ الشفاعاتِ.

انفتاحات

ظلكِ يسقط فوق الحائطِ

عتمة ضوئكِ

تأخذني لمياهٍ طافيةٍ

في ضوء قناديلكِ

سوف ألون أوقاتيْ

أسألُ:

ما هذا النورُ الطالعُ في أنحائي؟

ما هذا الفجرُ البازغُ من أنحائك؟

....

كأن الكونَ

قد انفتحَ على آخرهِ.

مدار الجاذبية

إذن

سنخرج على إلفِ العادةِ
ومدارِ الجاذبيةِ

وندور فى الفلك

كالضالين

أنتِ

تتشبثين بالهواءِ

وأنا

أتعلق بفضاءاتك.



حقيقة

هل حقيقتكِ هي العدمُ أيتها المرأةُ

أم عدمكِ هو الحقيقة بذاتها ؟!

هل أنتِ الوجود نفسه أم وجودكِ هو الأضاليل والتصورات؟

يا لكِ من خيالاتٍ وصورٍ..!!

وجودكِ

هو العدمُ المحضُ

وعدمكِ هو الوجودُ المحضُ

ما هي كمالاتكِ أيتها المجوسيةُ المتلفعةُ بجواهرِ الكينونةِ

وعَرَضِ التحولاتِ

الدائمِ؟!



الجلوس خارج المقهى

قد يرجمُ نفسه لأتفه الأسباب

ويجلس هو وصديقه النفريُّ على طاولةٍ واحدةٍ

لاحتساء الشاي المرِّ

ربما

يجلس داخل مقهى ما

أو خارج حدود الريحِ

ليقرأا معاً...

من ألف لام ميم

وحتى غُلبت الرومُ في أدنى الأرضِ

والمعلقاتِ السبعِ

وكتاب ألف ليلةٍ وليلةٍ

وما تيسر من خصائص بن جني

وكتابِ الثعالبي في فقه اللغةِ

ويدقق في اختيار الألفاظِ

قدر ما يتسع المعنى

وما يسمح به الوقت

وما له من تخيلاتٍ

وشهوةٍ؟!

❖ ❖ ❖

وحدة

إذن

سيقول المعري: يا خائطَ العوالمِ خِطني

ويقول التوحيديُّ:

أغربُ الغرباءِ من صار غريباً في وطنهِ

وأبعدُ البعداء من صار بعيداً في محل قربهِ

ويقول الغزاليُّ:

العالم مخلوقٌ

ويقول ابن طفيلٍ:

العالم حادثٌ

ويقول الشيخ محيي الدين بن عربي:

الهويةُ واحدةٌ والعوالم شتى

وأقول:

العالمُ ها هنا

العالمُ ها هنا

وأشار إلى قلبه

فيا خائطَ العوالمِ خِطني.



شمس الرغبة

ماذا سأسمي الرغبةَ على جسم امرأةٍ

تنام عاريةً

وتغتسل بالضوءِ

تحت شمس الوحدةِ ...؟!

هذه هي

بداية الرغبة

وسماواتُ الحقيقة

وليس لي من قناعٍ

إذن...

سألبس متاهة الرغبةِ

وأتشبث ببهاء الجسد كالضليلِ

ولا أعبأ بما يلوح لي

من خرابٍ وخساراتٍ

وها أنذا أنام عارياً بجوار امرأةٍ

تنامُ عاريةً

وتغتسل بالضوءِ

وعلى جدران القيظِ والوحشةِ

هذه

سأبدأ تأملاتي.

* * *

متاهة أخرى لهذا الضلّيل

يبدو أن صديقه امرأ القيسِ

سوف ينتظره هو الآخر

عند حافةِ الظهيرة

في حانةٍ ما

هو يعرفها ولكنه لا يصل إليها دائماً

قد يشرب بعض الخمرةِ الرديئةِ

إلى أن يأتي امرؤ القيس

وها هو ذا يتوكأ على عصاه

ويقود أشياءه وغرائبه كالضلّيلِ

ربما ...

كان يفك زنّار امرأةٍ ما

وهي تطلق طيورَ الوحشةِ

وتتخفف من ملابس النوم حتى السرةِ

لتكشف عن خرائطِ البدنِ ومجاهِلهِ

وتدعك الذراعين الأبيضين بالفراغِ

بينما

تطلق شعرها لسمكاتِ الريحِ الضوئيةِ

آه

ربما لا يأتي أبداً هذا الضلِّيل

الذي يسمي نفسه امرأ القيسِ

وها أنذا أتوكأ على عصايَ وأهش بها على غنمي

وأشربُ بعض الخمرةِ الرديئةِ.



شوارع اللذة

أسأل الجسدَ

عن كينونتهِ

والهواءَ

على طلسماتِهِ

وأمسح زجاج اللغة بعرَقِ الكلامِ

وأكنس شوارع اللذةِ

باللُّهاث

والتضرعاتِ

وأكتب على شوارع الجسد ومدنه ـ التي لا تنسى ـ

آن وقتُ الشهادةِ

حان

وقت الكلام

العالمُ شمسُ امرأةٍ.

وهوهة

لماذا

تريدني أيها الجسد أن أتبعك من بلدٍ

إلى بلدٍ

ومن متاهةٍ؟

إلى متاهةٍ؟!

ولماذا تريدني أيها النهار أن أتلصص على الجسدِ

وهو غارقٌ في الفتوحاتِ

وكلام الرمزِ

ومدن الإشارةِ؟

هل من وهوهةٍ؟!!

محاولات الخروج

إذن

اخرجي أيتها المرأةُ من تحت سقيفة المعرفةِ

وصدأ المجازاتِ

وغيابات الرؤيةِ

واكشفي عنكِ غطاءكِ

هل مداراتُكِ أبعد مدى من مداراتِ الضحى والليل؟

هل أنتِ وهم الحقيقةِ

أم حقيقة الوهمِ؟

وماذا عن الجسد ذي البهاء والتهاليل؟

اخرجى

اخرجى

حتى أحصي عدد جلابيبكِ

وشموسكِ التي لا تعدُّ.

عبر مياهك الضحلة

عبر مياهكِ الضحلةِ

سأتوقف قليلاً

وألقي بصناراتي

وأتوقف أمام حصنكِ القوي كالتائهِ

قلتِ لي/

لا السماءُ ولا الأرضُ

تصلح للإقامةِ

فقط

سأعبر إلى جسمكِ كرواقيٍّ قديمٍ

وأخلع ما عليَّ من سراويلَ

وكتاباتٍ قديمةٍ

وأطوح بهما إلى الهاويةِ

وكقرصانٍ عجوزٍ

سأحكي لكِ عن غيبةِ البحرِ.

الجنون ذاته

إذن سأتكومُ كالفراش خلفكِ

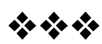
وأمسك بأظافري القويةِ ما يلوح لي

من حيطانِ النومِ

وغلبة اليقظةِ

وأتعلق بالجنونِ

ذاته.



العاشق القديم

ها قد بدأت العاصفة تشتدُّ

والنار تشتعل في الداخلِ

كعينٍ من اللازوردِ

وها هي الشمس الأليفةُ قد بدأت...

تضرب النوافذَ بقسوةٍ وبلا كلماتٍ

أتقدم نحوكِ أيتها السنديانةُ العتيقةُ كشجرةٍ عتيقةٍ

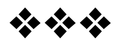
ربما وبلا رحمةٍ

أيضاً سأشرع في إزاحةِ الأغطيةِ السميكةِ

عن جسمكِ الشفيفِ

وأتقدم

كعاشقٍ قديمٍ



أسطورة

تصنع

الشهوةُ

أسطورةَ

الْ

جسدِ

وتقدمه

المرأةُ

على

طبقِ

الْـ

رغبةِ

تأويل

لـ

لْ

جسدِ

لغة

وحيدة

يقدر

أن يفسر بها العالمَ

لكن العالم

يؤوِّل

الجسدَ

إلى رموزٍ

وأساطيرَ.

حكمة

(1)

شجرُ القلب يخضرُّ

أوراقُ الجسدِ

تطَّايرُ.

(2)

نومُ العاشقةِ صلاةٌ

وصحو العاشقِ

عبادةٌ.

(3)

كلما أحاول أن أستعيدَ صوتكِ من خلالِ الذاكرةِ

يتبخر

ترى أي سكرٍ

تُراني وقعت فيهِ؟!!



مقابلة

يقول النفريُّ:

إذا اتسعت الرؤيةُ

ضاقت العبارةُ

وأقولُ/

الرؤية

وهمْ

والعبارةُ

حرفْ

فقط

الزم الصمتَ

تر.

محنة

أحياناً

يعجز الكلامُ

وتتواطأ اللغةُ

أما القلبُ

فيمحو

ما يشاءُ

ويثبت

ما يعرف

أنه الحقيقة.

هيولي

هكذا

قدِّر لي/

أن أراكِ في العتمةِ وألتفَّ بعباءةِ الريحِ

أدَّافع نحوكِ كالفريسة

ولا حول لي

أجلس مهجوراً

على رمل الشاطئِ

وألقي بصناراتي

إلى الحافةِ

فلا أصطادكِ بالشصِّ

ولا

أقبض عليكِ

كالهيولي.

امرأة

أتقدم إليكِ

حاملاً لذاذاتي

أتعلق بعينيكِ الكهرمانيتينِ

ولا أعبأ بما يلوحُ لي

وأعلنُ/ أنكِ الحقيقةُ الأخيرةُ

شمسكِ جزءٌ من يقظة النهارِ

شفتاكِ تعلنانِ عن توقد الأنوثةِ

جسمكِ كتابة الأبديةِ

طريقكِ هو اليقين ذاتُه

يداكِ تعلنان ساعةَ الخلاصِ

أنفكِ يسَّلطن عليَّ

وها أنذا أتقدم إليكِ

حاملاً لذاذاتي.

أحياناً

أحياناً

يكون لي هيأة الحجرِ

ولا أتربع إلا على صوان العادةِ

وأبتكر شكلاً آخر يليق بالمادةِ

أحياناً

أسير في الطريقِ مثقلاً بما كان

وما سوف يكونُ

وأرتقي درج الوحشةِ

وأتشبث بما أعرف

وما لا أعرف

فلا يلوح لي

إلا أنتِ

أيتها الكلمةُ التي

تبتكر شكلَ المعنى.

صاحبة الشفاعات

هكذا

أنام عارياً ولا أقبض إلا على الهيولي

أقبض على النهارِ بيمينيْ

وأطوِّح به بعيداً إلى المستنقعاتِ

وأضع يدي في جيبي

وأتأهب لملاقاةِ الوحشةِ

وإذ تخرج اللذة بيضاءَ وصافيةً

أقذف بالتخيلاتِ والرغبةِ

ولا أتشبث إلا بي

وإذ أتهيأ لملاقاتكِ أيتها الأثيمة

ـ على حوافِّ النورِ والظلمةِ ـ

أنجرف إلى هاوياتي.

عدم

أحياناً

أضحك من قهقهة العدمِ

وأعبث بالمرئياتِ واللامرئياتِ

وأكتظ بالغيومِ والتحولاتِ

وأنشغل بما أعرف وما لا أعرفُ

وأبحث عن الشيءِ ونقيضهِ

وأتوسل إلى العدمِ

بالعدمِ.

تجرد

له

أن يطأ أرضَ اللذةِ ولا شيء معه

أن يقلِّب الليل في النهار

والنهار في الليلِ

لِمَ لا ينسلخ عن خيالاتهِ وأوهامهِ؟

لِمَ لا يقف بإزاء الوردةِ

وهو قابضٌ على هذه النجمةِ أو تلكَ؟

لماذا يقول عن الوردةِ دائماً دائماً ما

تشبه لغة العاشقِ

وهي

هي جسد العاشقةِ

إذ تتجردُ؟

كتابة

فقط

أستمرئ النومَ كالقنافذِ

وأضرب على شجر الوحشةِ بأصابع الفراغِ

ولا أسمع إلا صدى الموتِ

رمل يتقبقبُ

وسموات تندلعُ حرقةً ونجومٌ..

لا تكاد تسمعُ أو ترى؟!

شِباك لا تمسك إلا بنشارةِ اللغةِ وحصا الرغبةِ

ولغةٌ لا تفضي سوى للفراغِ ذاتهِ

إذ ذاك..

أعضُّ على الخراب بالنواجذِ

وأكتب على جدران الهاويةِ:

ها أنذا هالك.

قراءات

مازال يواصل قراءاته

(1) السماءُ

مرآةُ الأرضِ والأرضُ جلبابها المنطفئُ المضيءُ

(2) الجنةُ

ما يعرف عن كواكبِ الجسدِ ومجراتهِ

(3) الزمان

حقيقة الوقتِ إذ ترغبُ فيهِ

(4) اللحظةُ

هي الوقت في الوقفةِ

أما ما كان فقد انتهى..

(5) للجسد أن يضع قانونَه وللروح أن تصنع شريعتها

(6) الأبدُ

ديمومةُ اللذةِ واللذة شريعة الجسد

والجسد جمعٌ لا فرقُ

(7) الجنسُ

كلماتُ اللّهِ التامةُ والجسد صياغتهُ الأخيرةُ

(8) الشمسُ

كتابة الجسدِ على صفحةِ الجسدِ بمداد الجسدِ

والقمر أغنياتهما الصائتة الصامتةُ

(9) النهارُ والليلُ

صياغتانِ أخيرتان ومختلفتانِ لحقيقةٍ واحدةٍ

هي الصيرورةُ.



نوم

كان ينام في ظهيرةِ الآحادِ

وهو يدلق شمسَ اللذةِ تحت شهوة النجومِ

وعلى وسادةِ الليلِ الفضفاضةِ

يقبض بيديه على عجينةِ الجسدِ ومراكبهِ

وهو واقف يراقب السخونة إذ تنعصرُ

بينما ينفطرُ...

فإذا ما التفَّت الساقُ بالساقِ

والبطنُ بالبطنِ

والجذعُ بالجذعِ

والسرةُ بالسرةِ

والتقى الجمعانِ

وانفتح البرزخُ على أوائل البرزخِ

وانعقدت أواصر المحبةِ وتراءى ـ له ـ النومُ كاليقظةِ

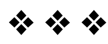
واليقظةُ كالنومِ

كان يخلع نعليه

ويمسك عليه لسانه ويقول لنفسه:

أنت فى الحالِ

إذن.



وحدة

ربما

يكور الفضاء بين إصبعيه

ويبتكر شكلاً آخر

يليق بالوحشةِ

وكلما يفكر في الوحدةِ

تنتفض الحروف أمامه كالوعول

وتنطُّ فى حجرهِ

ربما

يشقُّ عصا الطاعةِ

ويبقى عالقاً بجسمِهِ.



مباهاة

كان

يتوكأ على فراغِ ذاتهِ

وينتشر في الفضاء

كالفضيحةِ

وعلى وسادةِ الليلِ الفضفاضةِ

يجمع ما بين الليلِ والنهارِ

في قطيفةٍ

ويقول لهما:

تناكحا

تناسلا..

إني مباهٍ بكما.



ديمومة

على أي شيء تتشابك الأفكارُ في رأسهِ

وهو يقدر أن يتطلع من النافذةِ

فيرى النجومَ

وهي تتسكع في الشوارعِ عريانةً وجائعةْ

وتنحدر إلى الأزقةِ

بينما

تتطلع إليه بارتيابٍ وخشيةٍ

لمَ يشغل رأسه بالحلاج

والنفريِّ

وماركس

والسهرورديّ

وحروبِ العالمِ الثالثِ والأصولياتِ

وجدلِ التاريخِ والعالمُ

كما هو عليه؟!!

فراغ

في رأسه جنازاتْ

وعقله يعمل كالطواحينْ

دائماً..

تبدأ أمسياته هكذا

قلبه غاصّ بالحنين دائماً

وعينه تبكُّ بالوجعِ

لمَ لا يحرق كل هذه المعاني ويجلس إلى صندوق عادياتهِ

لكي يقلِّب أقماره التي لا تعد وشموسه التي لا تحصى؟!

لمَ لا يُجلس هذه الوردةَ إلى جوارهِ

أو ينام تحت عرشها؟

لمَ لا يصرخ في وجه العالمِ ويعيد بناءه مثلما يودُّ؟

لمَ لا يشعل النارَ في رأسهِ ويتربع على خوانِ الهشاشةِ؟

هل يقبض على فراغِ ذاتهِ؟!

سواحل

جسمكِ علامةٌ على الموتِ وأنتِ علامةٌ على الحياةِ

عينكِ نصفُ الحقيقةِ

وشمسكِ كمالها

عند ممراتكِ الوعرةِ ـ الضيقةِ ـ

أيتها الآثمةُ الأثيمةُ

سأرفع راياتي

وأستسلم لغواياتكِ اللانهائية

ـ وعندما يتهجأُ جسميَ أبجدياتِ جسمكِ

ويفك طلاسمَ حروفكِ ويبدأ في التعرف إلى آياتكِ وسننكِ شرائعكِ وغرائبكِ ـ

إذن سأكتشف الطريق إليَّ

وأنام هادئاً تحت شمسكِ الحقيقيةِ

ومن على سواحلكِ المكتظةِ بالوحوشِ والضواري

سأنتشل غرقاي وأترك ورائي بعض الجرحى

والمجانين وأقولُ:

هذا هو شرطكِ الأسمى!!

جسدكِ أيتها الغاويةُ الغازيةُ يلزمه الأزلُ والأبدُ.



أخلع عني الجسد

كان يتعين عليَّ أن أخترق حميميةَ الماءِ

وأتربع على طاولةِ الزمهريرِ

أن أضع إحدى ساقيَّ على الأرضِ

والأخرى عند قبة السماءِ

وأمد يديَّ إلى الفراغِ هكذا

وأقطف من ثمر الضوءِ ما أودُّ

وأكوِّم الوجع في حجري كالنفاياتِ

وأقضم برتقالاتِ الإثمِ والبراءةِ

وها هي ذي العزلة تعرش عليَّ إذ ذاك...

أخلع عني الجسدَ وبقية الأعضاءِ

وما في الروح من خيانةٍ

وأتدلى مثل خطيئةٍ منذورةٍ.



صراخ

أنكش الفراغَ بزبد الفضة العالق برئتيَّ

وأتجول بداخلي حاملاً قرابيني وخطاياي

أصرخ :

عن أي شيءٍ تفتش أيها المتكومُ في سراويلكَ

كبقيةٍ من قمامةٍ؟



الكاءات

لأنه مضطر دائماً هكذا

لأنه مضطر دائماً

أن يفصح عن أشيائه وتأملاته

لأنه مضطر أن يقول لأهله

امكثوا إني آنستُ ناراً

سيقبض على الفراغِ

بما يعرف من تكهناتٍ وقسوةٍ..

وسيتوجس خيفةً من البحر والساحلِ

وانطباقِ السمواتِ على الأرضِ

ويتكئ على شفا جُرُفٍ هارٍ.



خرائط

دمكَ الأبيضُ أيها المتفحمُ

يسيل على الأوراقِ كخارطةٍ

ما من امرأةٍ تأتيك بفاكهةٍ ولحمِ طيرٍ

ولا ينبغي لك أن تدرك النومَ في يقظة النهارِ

وما ينبغي لك أن تدرك النهارَ في مدائنِ الليلِ

فقط

تنام عيناك ولا ينام قلبك

وها هي ذي خمرة البدن لمَّا تزل تعاقرها

من أول اليقظةِ إلى آخر النومِ

والمرأة لديك كالحقيقةِ

أيها المتفحمُ بفاكهة الليلِ

دمكَ الأبيضُ

يسيل على الأوراقِ

كخارطةٍ.

سحر

بطنكِ كحريرِ الملوكِ

وشعر رأسكِ عليكِ مثل الكرملِ

شفتاكِ تعلماني اليقينْ

مَلِكٌ قد أُسر بالخصلِ

يا إلهي

أي سحرٍ هذا الذي أراه

في العينينِ ماثلاً؟!

❖❖❖

تشبث

هل تقدم قرابينك

وأضحياتك إلى اللاشيء؟

لماذا تتشبث بالحقيقةِ هكذا

ويتشبث بك العدمُ دائماً؟

الواحد

ماذا تفعل في الوحدةِ إذ ترقب الشمسَ

وهي ترافق القمرَ حتى مطلعِ الفجرِ؟

وتراقب القمرَ وهو يتتبع منازلَ الشمسِ كعشيقةٍ؟

هل تكتب أسماءَها فوق كل حجرٍ؟

وعلى كل حصاةٍ تدون ما لك من معارفَ وفتوحاتٍ

وتنام تحت خيمة الريحِ هذه؟

هل تنام أو تقوم؟ أفلا تحلم ولا تشتهي؟

فقطْ

عينان أنت مفتوحان عن آخريهما!!

هل تقبض على الأزلِ في كراساتِك

وتربط الأبدَ في سلسلةٍ مفاتيحك؟

جلابيبُك ملآنةٌ بالفوضى

وعلى الحوافِّ دائماً تقوم أساطيرُك وترتفع أنهارُك

وفي الطرقاتِ تنبني شرائعك هكذا غاصة هيَ بالشراكِ

والخدائعِ بحرك بلا نهايةٍ

وشمسك بلا غموضٍ

وكلامك ما له من غلاصمَ

فيمسكُ ضوْءُك يزين الرمادَ ويمسح المصابيحَ

وشجرك يزدهر على الحوافِّ دائماً

أوراقك تثبِّت بها الريحَ

وعلى كل ناصيةٍ تخلف ما لك من آثارٍ

وتشبك ما بين الحرفِ والحرفِ بالحرفِ

وها هو ذا الفضاءُ يكتبك.



لذة

هل كان محيي الدين بن عربي صائباً أم صابئاً

وهو يفتش عن ذكورةِ الروحِ في برتقالات الجسدِ

وانتفاضة الجسدِ في قوقعة الروحِ؟

كيف كان يكتب عن تلك المرأة التي تفسد عليه حقيقةَ النومِ

وقطيفةَ اليقظةِ وهي تتربع على خوانِ الرغبةِ

فينافحها اللذةَ باللذةِ

وتنافحه اللذةَ باللذةِ

هل كانت هذه المرأةُ حقاً أقربَ إليه

من حبلِ الوريدِ؟

وفيما ـ هو ـ يفتش عن العشقِ إذن

بينما يرقب انهيارَ البدنِ

في أقصى البدنِ؟!



الطبيعة الماكرة

يبدو أنه قرر أخيراً

أن يلقي بكلماته إلى الهاوية

وأن يصطاد لغتَه بالشصِّ

أنْ يملأ خياشيمَه بلزوجةِ الجسدِ

وينطرحَ على طحالبهِ كاللآلئِ

لم لا يتوقف قبالة هذه الشمسِ

ويعطي لنهاراته شكلَ الجنونِ ذاتهِ؟

لم لا ينتفض في الصباحِ

ومثلما تفعل هذه الوردةُ دائماً؟

ولماذا يقرأ الجسدَ في كل شيء إذن؟!

ثمة صيرورته

تنعكس على أداءِ الطبيعةِ ال .. ماكرة...!!



في الخلاء ذاته

لماذا إذن يتشمم عرقَ الإبطينِ

وهو راقد على سُرة العشبِ

وتحت النجوم التي تلمع ـ كالنصلِ ـ

في ظهيرةِ الليلِ الأخاذةِ

يتحدث إلى لا مرئياتهِ

وهو قابضٌ على الأبد بأسنانهِ وخراطيمهِ

وبأصابعه التي تنزُّ بالرغبةِ والشكِّ

يبحث عن امرأةٍ ما؟!

هل يكور الجسدَ بين أصابعه كالخطيئةِ

ويطوح به إلى اللاشيء؟

أم يقبض على اليقينِ ذاته

بما يعرف من دغدغةِ الجسدِ للجسدِ؟!

وها هو ذا يقلِّب وجهه فى السماءِ

فلا يرى سوى خشخشةِ المادةِ

وصفير الروحِ التي تبقبق في الخلاءِ ذاتِهِ؟!



انشغالات

لماذا يشغل نفسه دائماً بالمعنى إلى هذا الحدِّ؟

أي معنى لهذه الشهوةِ؟

أي معنى لتلك الروحِ؟

أي معنى لهذا الليلِ؟

أي معنى لهذا النهارِ؟

أي معنى لهذه الأبديةِ؟

أي معنى لهذا العالمِ؟

فقط...

سيعمل كل ما بوسعه لكي يتخطى حواجزَ الزمنِ

ويغني أغنياته الخاصةَ ويعبر على الشيء ونقيضهِ

إلى أنْ يبسط يَدهُ على الفراغِ

ويقبض على طيورِ المادةِ المتهالكةِ

وجواهرِ العدمِ والكينونةِ

وينطرح كالزبدِ على الزبدِ

وينعس على ساحل الأبديةِ

ولا يفتش عما في الأعماقِ.



القمر الأحمر

ها هو ذا القمر الأحمر يتقلب على حرير جسمكِ الناعمِ

وها هي ذي خمرةُ البدنِ تفتش عن حمأة الظهيرةِ

وتبحث عن مكانٍ ما لتختبئَ فيه

ثمة مشاغلٌ لليلِ لمَّا تنقضي بعدُ..!!

أيتها المرأةُ التي تشبه النجومَ دائماً

لمَ لا نزحزح غطاءِ السمواتِ هذه

لكي نطل على ساحل الأبديةِ

وهناك

وإذ ننجرف ـ كما هي العادة دائماً ـ

صوب نحاسِ الرغبةِ ومداهماتِ اللذةِ

نصرخ:

أيها الموتى..!!

ابعدوا شكلَ الزمنِ عنا.

شمس المعدن

طالما أنك تحاول أن تتخلص من عفونةِ المادةِ ونحاسِ الرغبةِ هذه

لماذا تحدق عبر النافذة إلى الشارعِ

وتفتش عن شيءٍ ما؟

الغرفةُ التي تحيط بك

بجدرانها السميكةِ من البلاستيك؟

شمسُ المعدنِ التي تتشبث بها في آخر الليل دائماً؟؟

حروف الرصاص التي تحتمي بها من الفراغِ والفحمِ

وتنهمر عليك في الظلمة المدوية؟

صباحاتُ الوحدةِ التي لا تنتهي؟

بداية اللذةِ الحقيقيةِ والألمِ الحقيقيّ

طبقك المعدنيُّ الذي يقاسمك الوحشةَ الحقيقيةَ

والندمَ الحقيقيَّ؟

كلماتُ الصابونِ والقشِّ التي تعلكها من الصباحِ

وحتى نهاياتِ الليلِ؟

سؤالك الممض حول الكينونةِ والماهيةِ؟

فكرةُ الموتِ هذه وفلسفة الروحِ؟

هل أنت مشدود دائماً إلى المادةِ؟

يالنهاياتك التي تكتظُّ بالشهوةِ!!



عندما يهبط الظلام

عندما يهبط الظلامُ

بعباءاته الفضفاضةِ

التي تشبه الجحيمَ دائماً

على جسمكِ العاري

أرى شجرةً خضراءَ تخرج من تحت قطيفةِ النومِ

وها هو ذا الوقت يتكوَّم على سواحلكِ اللانهائيةِ

كتلك النجومِ التي تتعلق بعينيكِ دائماً

مدنُك التي أدخلها مدشناً بالخرابِ

والخيبةِ تكشف لي عن يقين الرغبةِ الحقيقيِّ

وبينما

أتعلق بشمسكِ التي تصَّاعدُ للأعالي دائماً

أتشبث بأنهاري التي أخذت تجفُّ.



توقف

أحياناً

أتوقف أمام حروفكِ التي تطلع باتجاهِ الأبديةِ

جسمكِ الأخاذُ ينبسط كالألف

عينكِ جزيرةُ الدمع المسيجةُ بالسوسنِ والظلِّ

علام أتوقف في طرقكِ التي تتقاطع في اللانهاياتِ دائماً

أيتها المشبعةُ بالبروقِ والرطوبات؟

قمركِ يكشف عن زرقةِ المياهِ

ويحمحم فوق البيوتِ القديمةِ وعششِ الصفيحِ... والفحمِ

وها هو ذا يلتقي بأطرافِ الصحراواتِ

وإذ يقتفي آثارك التي لا تدل عليكِ دائماً...

يخرج طائر الرغبة الحقيقيِّ

لكي يؤذن بانبلاجِ النهاياتِ

وها أنذا أتحمم في ماءِ شمسكِ.



صحراوات

صحراواتُكِ الشاسعةُ أيتها المرأةُ

ليست إلا صورةُ الروحِ

الغبارُ شكلُ الآلِ والسرابِ

طائرُ الليلِ

عواءاتُ الرملِ

والريحِ

الطلُّ

عينُ الشمسِ إذ تنجرف في اللاشيء

متاهةُ القمرِ الأزرق على حدود جسمكِ الناعمِ

وقتُ اللاجدوى

ظهيرةُ العدمِ

هسهسةُ اللذةِ

وانفطارُ الجسدِ

على نقا الجسدِ

....

....

إذْ

أطؤكِ أيتها الظهيرةُ العفيةُ

أشعر بفتنتي

وربما أصرخ:

هذا هو اليقينُ ذاته.



هذا ما أراه ملائماً لي

الليل

هذا الهواء الأخيرُ يمر على شجرة ياقطينكِ

فتنفتح شهوةُ الأرضِ

ويقترب القمرُ الأحمرُ من براريكِ العميقةِ

فيحبس الليل أنفاسَه

وتجلس النجومُ على ركبتيكِ

ويبدأ ملاكٌ أخيرٌ في الترانيمِ

لا أسميكِ

أنتِ الليلُ

ونقيضهُ..

لرمادكِ رائحةُ النارنجِ

ولأغنياتكِ عذوبةُ الوردةِ

لشمسكِ

نهار الأبديةِ الصائفِ

ولشفتيكِ نبعُ ماءٍ

ولعينيكِ ما يشبه الطوفان

غاباتكِ الشاهقةُ الواطئةُ المشتبكةُ المرتبكةُ

لا تسمح سوى للقراصنةِ

بالمرورِ وجسمُكِ كتابةُ الألوهةِ

على حائط الأبد والأزلِ

وإذ لا شبيهَ لكِ..

تتركين رمادكِ الأخيرَ لي.



المرأة التي ليست لي دائماً هكذا

شمسكِ تشع في الأعاليْ

على قممِ جبالكِ المشتعلةِ بالحنينِ يقف طائرُ العزلةِ

وحولكِ تلتقي البراءاتُ والإثمُ

حقلكِ مليءٌ بالحنطةِ

وعلى حوافكِ الأثيرةِ تشع اللآلئُ بانتظامٍ

لسماواتكِ ما يشبه الوحشةَ

وعلى جبينكِ الأخَّاذ يلقي القمر بأشعته الزاهيةِ

وينطفئ كلام النسيانِ

وبين أصابعكِ تصطَف الوعولُ

وينفرطُ كلام النبواتِ

أمسِ

اشتريت لكِ وردةً وحيدةً من رجلٍ وحيدٍ

واستندت على حائطِ الأبديةِ الضخمِ

لمَ لا نخبئ هذه الوردةَ ياحبيبيْ

حتى لا يكشف الطغاة سرها هكذا قالت المرأة

شعركِ حديقةُ الليلِ

أصابعكِ تلون الفضاءَ

وجسمكِ كتابةٌ منسيةٌ لأزمنةِ الطوفانِ

نهداكِ

طائرانِ

مصلوبانِ...

على شجرةِ الخُلْدِ

أقاليمكِ التي يصعد إليها الرمل والغبارُ والصبارُ

وتعوي فيها الذئاب الجريحةُ

سأحرسها بعزلتي وسديميْ... آهِ

كآبتكِ التى لا حد لها تليق بالملوكِ دائماً

تحت ظل ياقطينةٍ سأجلس وأنتظركِ

يا حبيبتيْ

مقابسة

ليْ

أن أدفع الهاويةَ إلى حيث اللاشيء

لي أن أقيس الرغبةَ ببريق عينيكِ

وأن أتربع على حافة الجنون

ولا أنيسَ لي

سأعبث بما تقرره اللانهايةُ من تناقضاتٍ

وأدفع اللاشيء باللاشيء

وأتوقف تحت حائطِ العزلةِ حيث تلمع الرغبةُ

والضغينة فوق سفينةٍ غارقةٍ

وأسمي الشهوةَ باسمكِ

أنتِ..

يا سيدة الشفاعاتِ

والتعاليمِ

ليْ

أن أقول لعينيكِ

هنا يرقد الأزل والأبد تحت مجرةِ الجسدِ ولا شيء بعدُ

جسمكِ الجنونُ ذاتُه.

❖❖❖

جسد يليق بأغنياته

يدفع عن نفسه فضاءَ الرغبةِ

ويقوِّض النهارَ بيديهِ

هل يدفع الليلَ إلى الحوافِّ ويفكر وحده في النهاياتِ دائماً؟

أكتب على جسمكِ لغتي وأحتمي منكِ ببراكيني

أيتها المرأةُ

جسمكِ كمال الحقيقةِ كما ينبغي لها أن تكونَ

عينكِ تعرف كيف تباغت اللغةَ بينما جسدكِ يبتكر الضوءَ

وشعركِ يلملمهُ هواؤكِ صافٍ

وشمسكِ آثمةٌ ضوْءُكِ..

مأخوذٌ بأغنياتِهِ...!!

غواية

غوايتكِ عزلةٌ وعزلتكِ غوايةٌ.



انتظار

بأصابعكِ التي تكتب بحبرِ الجسدِ

وبعينيكِ

اللتين تفحَّان بالشهوةِ

سأعرف كيف أضبط الأفق على صِناجةِ الريحِ

وأقعد تحت فضاءِ الغوايةِ

منجرحَ القلبِ

ومنعقدَ اللسانِ

في انتظار ما لا

يجيء دائماً.

فيما مضى

فيما مضى

كانت لعينكِ بلاغةُ الريح

كان لصدركِ أرجوانةُ الأفق

وكان لشعركِ غرائبُ الليلِ وطبائعهُ

كان لكلامكِ

أبجديات الخلقِ

وكان لاسمكِ طقس الغرائزِ

الآن..

أصبحت أتشممكِ

عبر حفائرِ الذاكرةِ.

كتابة

أكتبكِ لأنسى

أما

حين أقرؤكِ

أعرفُ

أنكِ منتهى الطلب.



شغاف

ليديكِ

اللتين تلمسان الشغافَ دائماً

وتتمتعانِ بحدسِ اليقينِ واللذةِ

لعينيكِ اللتين تصطخبانِ عبر الزمنِ

وتخصفانِ عليهما من ورقِ الجنةِ لشفتيك

العنفوانيتينِ الكهرمانيتينِ

هذه اللغةُ الوحيدةُ

ربما تجتهدُ اللغةُ

في أن تسنَ لهما الشرائعَ.

ذات مرة

ذات مرةٍ

فكرت أن أقول لكِ/ أحبكِ

... لو كان البحر مداداً لكلماتي إذنْ لنفدَ البحرُ

قبل أن أنتهي من كتابة عينيكِ...

أما عن كلامِ الجسدِ

للجسدِ

فتلك

حكايةٌ أخرى

كثيراً

كثيراً ما أرهف السمعَ لوقع خطواتكِ

كثيراً ما أتعلق بعينيكِ إذ أرى وأحسُّ وأتكلَّمُ

كثيراً ما أنتظركِ على ناصية الريح

أي عاصفةٍ أنتِ

وأي صاعقةٍ؟!!

ترى..

ما الذي سيقوله الضوء عنكِ؟ يا يقينَ البحَّار الأعمى

ويا مطرَ النوءِ السكرانْ

لماذا أشبه عينيكِ بالبحر دائماً؟

... ربما تأتي تحت خيمة الليل هذه

هكذا كنت أقول لنفسي دائماً دائماً

وبعد أن يكون قد مضى على وقوفي على هذه الحالِ

عشرونَ دهراً.

لماذا

لجسمكِ

لغةُ اليقينِ حقاً

فلماذا أشك فيكِ دائماً

هكذا ؟!

❖ ❖ ❖

فكرة

ربما

فكرت لوهلةٍ وأنا أتذكركِ

أن آخذ البحر ناحيتي

وأن أطوي السماءتحت سقف بيتي

أنتظركِ

أنا والموجُ

على الشاطئِ.

وصل

وصلكِ عذابٌ

وعذابكِ وصلٌ آخر.



تساؤلات

تُرى...

كيف يكون كلامُ الجسدِ للجسدِ ورغرغةُ العينِ لرغرغةِ العينِ

وتلهف حوض الصدر للصدر وانفتاحُ الساقِ للساقِ

وعند أي خليجٍ

يا ترى أيضاً سأعرف كيف أقودُ سفنكِ

المحملةَ بالعزلةِ والشك هذه؟

وها هي ذي قوافل الفوضى

تكنس ما عليّ

من وسوسةٍ واحتداماتٍ.

ملامة

كلما

أقترب منكِ ألومُ نفسي

وكلما أبتعد عنكِ

ألومُ نفسي

كلما أفكر في النسيان

أتذكركِ

أهتفُ/

يا إلهي

أي حيرةٍ تلك التي وضعتني فيها؟!

ضلال

أغتسلُ من جسمكِ بالإرادةِ

وأغتسلُ من عينيكِ

بالنسيانِ

أغتسلُ من يديكِ بجمر الأصابعِ

وأغتسلُ من شفيتكِ

بالطمأنينةِ

أغتسلُ من شعركِ بحصى الليل والحكمةِ

وأغتسل من أنفكِ بأجود الخمرِ

أغتسلُ من سرتكِ بالهذيانِ والعطشِ

وأغتسلُ من ردفيكِ بالمخاطبةِ والتهيؤِ

جسمُكِ كمالُ الحقيقةِ كما ينبغي

فلماذا إذن أضل

وأشقى؟!!

ارتباك

انعقادُ اللسانِ في الحلقِ

وانحباس اللغةِ في الدمعِ

واختلاط الحاسةِ بالحاسةِ

وارتباك الجوارحِ

وإغضاء الطرفِ

أليست تلك كلها علامة المحبة؟

فكيف تكون صرخةُ العشقِ

إذن؟

مواضعات

كلامكِ من ندى الليلْ

يقينكِ من يقين الألوهةِ

ظهيرتكِ غاويةٌ

وعلى فخديكِ اللّدنينِ

تشهق شمسٌ بلا رحمةٍ

وتنجرح أقمارٌ

أما ردفاكِ فمنجما ذهبٍ

موضوعْ.

صرير

شمسكِ تخرج عن الطاقِ

وحديثكِ ما له من مثيلٍ

فلماذا أحار فيكِ حيرتي

كلها

عيناكِ

تهيئان للكلام

وشفتاكِ تنصتان للطبيعة

أليس لكِ من كتابٍ نقرؤهْ

سوى الإصغاءِ للصريرِ

والغيِّ؟!

اكتمال الحقيقة

خلفكِ أجرجر الوضوحَ والغموضَ

الحقيقةَ واللايقينَ

أصنع لجسمكِ احتفالياتٍ ومزاميرَ

أعرفُ

أعرفُ

ها قد مضى أغلبُ الليل

وها هي ذي حقيقتك

تكتملْ.

قيود

قيودكِ تختم عليَّ بخاتمِ المحبةِ

أغلالكِ علامةٌ على القربِ والبعدِ

بحاركِ التي بلا شطآنٍ أبداً

ما لها من قرارٍ فتسكنْ

سجنكِ الذي يشرف على الهاوياتِ

مفتوح دائماً على نوافذ الضوءِ

عينكِ التي تخطف بالأبصار

دائماً ما تدرك الأفئدةَ وكثيراً

ما تشعُ بالحقيقةِ الخالصةِ

أرضكِ التي أحرسها بعزلتيْ وسديميْ

دائماً

ما تكشف لي عن قيامةِ الفصولِ

ترى..

أي غاويةٍ أنتِ؟

وأي هاويةٍ تلك التي سقطتُ فيها ؟

ولماذا أقول دائماً

ـ وكلما أراكِ ـ

فكِّيني من الأسرِ أيتها المجوسيةُ؟!

❖ ❖ ❖

غيابان

غياب *(1)*

....

ها أنذا

قد اشتهيت أن أكتب عن عينيكِ ذات مرةٍ

وبعد أن تهيأتُ

رفعت الأقلامُ

وجفت

الصحفُ.

غياب (2)

....

فيما يكون لعينيكِ أن تناما

تفترشينَ

سدرةَ الأفقِ

فيما يكون لجمسكِ أن يقول كلماتهِ

تتوسدين

فراشةَ البحرِ.



حقيقة

زوجوني بالنهارْ

إنه

نافذتي الوحيدةْ

زوجوني بالليلْ

إنه

برج مراقبتي..!!

زوجوني بالطبيعةِ

إنها لغتي

زوجوني بالمرأةِ التي أحبها

إنها عناصري.

امرأة

في صحراواتكِ المكتظةِ بالنجومِ والضواري

في نهاركِ المليء بالتذكرِ والجسدِ

في ليلكِ الذي ينام خارج الظلمةِ هذه

ويكتب بيديه المغسولتينِ بالعشبِ

والحقيقةِ تواريخ عزلتكِ ويقظتكِ أيضاً

في شموسكِ التي تخيم على المجرات كلها

ولا تنام إلا تحت أريكة الرّب أبداً

في جبينكِ الأخاذ بالبراءاتِ والإثمِ

في جسمكِ الذي ينصب الشباك دائماً لفرائسكِ ومطارديكِ

تكتسبين دائماً مظهرَ كل شيء

الطبيعة وعزلتها

الحقيقة في اكتمالها

الشمس وانصهار الظهيرة العذبة

النور

وما يكشف الضوء

السيل وما يكنس الحصا

الغواية

وما يبدِّدُ العزلة

اليقين وما تقرره الرغبة القوية

السماء وما تجلله الأرض من صلابةٍ

النهاية

وما يخلفهُ الزمنُ من متاهةٍ

أنتِ

أنتِ الأنثى كاملة.

كفاية

نهارٌ واحد يكفي لكي يملأ جرتكِ بالحبِّ

شمسٌ واحدة تكفي لكي تضيء عزلتك

نجمةٌ واحدة تكفي لكي تصحبكِ إلى حقيقةِ الليل

قمرٌ واحد يكفي

لكي يضيء وحدتك

كلمة أخيرة تكفي لكي تكشف عن طرقكِ السالكةِ والمهلكةِ

قبلة واحدة تكفي

لكي أقضم ثمرتكِ المرةَ المشتهاةَ

أما أنتِ فواحدةٌ.



كناية

فيما تفكر أيها الليلُ ووردتك هذه

مجروحةٌ على بوابة النهارِ.

مفاجأة

أعرف أعرف

شمسكِ تودُّ أن تفاجئ الليلَ

نهاراتكِ تغتسل بالعنفوانِ والتفتحِ

على جبينكِ الشاهق الساطع

تهب رياح بخماسين

فيما نجوم بأقمارٍ ولآلىءَ

تحترق على شفا مجراتكِ المدويةِ

يا إلهي

أي شك هذا الذي يكتبكِ عندي

وأي يقينٍ هذا الذي يدلني

عليكِ!!

نوافذ

شمسكِ تعرِّش على الحقيقةِ كلها

فيما وردةُ الأفقِ تستحم بين نهديكِ

اللذين يشعان بانبهارٍ على كثبانكِ الصغيرةِ

ومجراتكِ اللانهائية

بينما كواكبكِ تقف شاخصةً

وجسمكِ يجمع العالم في واحدهِ تحت ظلكِ

اشتهيت أن أجلسَ وثمرتكِ حلوةٌ في حلقي

هل لكلاميَ من معنىً؟

هل في لغتي ما يقارب حقيقتكِ؟

ولماذا ترمين أيامكِ القديمةَ في حجري

وعلى بواباتي الصدئةِ تتركين متاعكِ الثقيلَ ليْ؟

وها هي الظلمةُ قد حاصرتنيْ

ولم يعد ثمة مهربٌ ولا كلام لكِ عندي فنتذاكرهُ

أيتها الأوابة الأخاذةُ

بناصيتيْ ها هي ذي كلماتي كلها لكِ

وها أنذا قد أعددت لكِ المائدة

وما من موكبٍ يعلن قدومكِ إليَّ

ولا من ركبٍ يحملكِ

اختلطت الحاسَّةُ بالحاسَّةِ

وطغتْ كل جارحةٍ على كل جارحةٍ

وها قد نفذ الزادُ وصحراواتكِ المدهشةُ مهمةٌ وشاسعةٌ

لقد تعبتُ من كل شيءٍ ولكل شيءٍ؟

من القيامِ والقعودِ ومن المشي ومن الكلامِ

ولم يعد لديَّ سوى الصمتِ

تلك الآفةُ الوحيدةُ التي أقدر عليها وتقدر عليّ

وإذ يضيق صدرُكِ بي أصرخُ /

ها أنذا هالكٌ في أرض هذه الفلاةِ وآخذ في التلاومِ

والمداراةِ وإذ أشهق أو أغص

تتحاجز اللغةُ في حلقي

وينعدم العدمُ ويأخذ الوجود في التلاشي

أي غاشيةٍ أنتِ أيتها المكتوبةُ بحجرِ الدمعِ والدمِ؟!!

آهِ لقد نسيتُ أن أغلقَ البابَ أمام جميعِ نوافذِكْ.



غيوم كثيرة

غيمةٌ بموداتٍ تنام تحت شرفتكْ

غيمة أخرى فوق طرفِ قميصكْ

غيمةٌ ثالثةٌ

تنام بجوار أقمارك

غيمةٌ رابعةٌ تغتسل تحت قدميكِ

فيما تتسلل غيمةٌ خامسةٌ

لكي تحطَّ بين نهديكِ المكتنزين كفستقتينِ بريتينِ

وعلى فخذيكِ العاجيتينِ يغتسل قمر بانبهارٍ وتنام أوديةٌ بِقَدَرِها

أعرفُ أعرفْ

كثيرةٌ تلك الغيوم التي تشتهيك.

قيظ

صيفكِ حارقٌ

وأخاذْ

على أسِرَّة نومكِ ينصاع الليلُ للنهارِ وينصاع النهارُ لليلِ

على طرْف مخداتكِ تقوم أوديةٌ بأنهارٍ

وتنتصب مسالكٌ ومهالكُ سِككُكِ كلها مهاو وجروفٌ بترساناتٍ

ثمة أنهارٌ تتخلل من بين جميع أصابعك وتفترش حواف

صحراواتكِ

أراضيكِ مغسولةٌ بالخصوبةِ

ومبللةٌ بالشمسِ الدامغةِ

حشائشُ أنهاركِ تزين الأفقَ

أيتها الغاويةُ:

دائماً ما أبصُّ عليكِ بخشيةٍ

وتنظرين إليّ

بإشفاقٍ.

ظمأ

على جسدكِ المكتوبِ

بالشهوةِ الخالصةِ

والدمع الخالصِ أيضاً

تلتقي اليقظةُ بالنومِ

الحقيقةُ بالشكِّ

وبك يتعرف الضدّ إلى مضدودهِ

وإذ تبدأ شمسكِ الأسيرةُ في الوضوحِ والتجلي

أصرخُ :

لا نزلَ القطرُ إنْ أنا متُّ ظمآنَ..!



19فبراير 1992

(إلى هـ. ن أيضاً)

في 19 فبراير 1992

وفيما كنت أدخل الغرفةَ التي تحتويكِ كان اسمكِ يشع عالياً

كانت نجمةٌ ما تتلصص عليكِ وفيما كنت تشبهين وردةً كان جسمكِ يندلق عليَّ عذباً وصافياً...

كانت يداكِ تعملان بالضوءِ وتلملمان حطامَ العالمِ بقوة الأشياءِ والبصيرةِ

وكنت تكنسين غيبةَ الزمانِ والمكانِ عن ذاكرتكِ التي أخذت تجفُّ فجأةً

كان العالمُ كله لك

وكنت تتركين للفراغ أن يضيق

كانت عيناكِ تشبهان نجمةً

فيما شفتكِ التي تكتظ بالأنوثة الصخَّابة تعلن عن توافر الحنينِ

كان جسمك يكتسب شهرته المدويةَ ويفصح عن حضوره القويّ

فيما يكتسب وجودكِ الطاغي تنوعَ الطبيعةِ

كان صدركِ مثل طائرٍ يضيق بالعزلةِ

كانت شفتاكِ تختلجان بالضوءِ وتعلنان عن توقّدِ الرغبةِ

والأنوثةِ وانبثاق شهوةِ الجسد الحيّ

ناحية الجسد الحيّ

وإذ ترسلين قبلةً إلى الهواءِ

كان كلامكِ الذي يشبه العقيق دائماً

يفحُّ بالشهوة

كان صوتكِ الذي يشبه صدى الكماناتِ يبحُّ بالأنوثةِ الطاغيةِ

والوجعِ الطاغيْ

كانت عيناكِ تغمزان للسكينة أن تمهد الطريقَ

كان لجسمكِ قانونُ الجاذبيةِ الأسمى و....

سطوةُ الحقيقةِ

نهداكِ يعلنان عن تفجر اليقين

أيتها المرأة:

أنتِ في كاملِ الهيئةِ.

نهوض

فيما أنهضُ من النومِ

وأزيح عن فراشي عبءَ الليلِ كله

أتذكرُ/

لا أعرف لماذا أشجار البنِّ ورائحة جسمكِ

التي تشبه الغابات والصندلِ

وأن أول شمسٍ صغيرةٍ

عليّ أن أقابلها في ذلك اليومْ

أنتِ

أيتها الكاملةُ.

توتر

عند ظهيرتكِ التي تشع بالحنين دائماً

سأترك رسالةً صغيرة للضوءِ

كي يقرأها

وبيديه الصغيرتين هاتين

يضعها في سلة الحنين هذه...

وفيما شباككِ المغلق ـ خشبةَ الحر ـ

ينفتحُ إلا ويمتلىء الأفقُ

بالكلامِ والطيرْ.



وحدة ثانية

كثيراً ما يمسك قمراً في فضاءِ غرفتهِ

ويتناول طعام إفطارِهِ وهو جالسٌ

إلى الوحدةِ التي يقاسمها الوحدةَ

وفوق أسرة المللِ هذه يطارد كآبتَهُ.



حرقة

كثيراً ما ينام خارجَ الليلِ

ولا ينتظر أن تتبعه ولو نجمةٌ واحدةٌ.



قسوة

كثيراً ما يركن النهارَ إلى عتبةِ الليلْ

ويلملم سماءه الوحيدةَ تحت إبطيه

وينزل إلى الشارعِ بخطىً خفيفةٍ

خفيةٍ ليبحث عن أثر امرأةٍ ما

ـ لقد أحبها بصدقٍ إلى درجةِ اليقينِ ـ

وإذ تتلفلف في ملاءاتِ الرغوةِ واللذةِ

تترك لجسدها الذي يشع في الوحدةِ

غياهب السريرِ والوحشةِ

وبعد أن تكون قد أتمت صلواتها العشرَ

تتقشر أمامه كالجوهرةِ المكنونةِ

وتلتصق بأطراف أصابعهِ كأجودِ الخمرِ

وعندما تنسحبُ النجوم البعيدة إلى قواقعها القصيةِ

وتبدأ في مداهماتِ

اللذة ينافحها اللذةَ باللذةِ

وتهاجمه بعينيها الشرستينِ الشهوانيتين

ربما يصيبه الجنون من جرَّاء ما تروعهُ.

❖❖❖



كثيراً ما يضيق بجسمهِ ويودُّ لو يخلعه

وفي كل خطوةٍ يقول لنفسه:

كيف يوسِّع من حجارةِ الروحِ هذه؟

وماذا سيفعل بحصا البدن وسيمفونيةِ الرغبةِ

آهٍ....

لو يصطاد فراشها المضيءَ بصناراتِهِ التي تشبك الريح

في جلابيبِ الظلمةِ؟!

تعقب

... ولأن سماءه كثيراً ما تنهارُ على الأرضِ

ها هو ذا يجرجرها خلف ظهره كالفضيحةِ

إلى أن يقعا معاً على هاوياته.



جمر

كثيراً ما يضع إحدى يديه على الماءِ

ويقطف بجمرِ الأصابعِ زهرَ النهدينِ.



فقاقيع

كثيراً ما يلوذُ بالعتمةِ

ويترك لفقاقيعهِ أن تبيض في الفراغِ

وعلى الورقِ الأبيضِ

كثيراً ما يترك لدمهِ المتجلطِ أن يبخَّ نارَه

ومن خلال كتبه ـ التى يحاول أن يلوذ بها ـ

تخرج إليه الكلماتُ بحروفها التي تطلق شرراً وحتفاً

وإذ يصارع الغرقَ

فوق سريرهِ المتآكلِ

تخرج إليه الكوابيس

التي تنهش جسمَهُ عضواً

عضواً.

سمكات الزبد الذهبية

كثيراً ما يمسك اللغةَ من غلاصمها

ويضعها تحت نعليهِ ويدعكها بأسنانهِ

ودونما رغبةٍ منه أو منها يصفُّها في كيسٍ من القماش

وعندما يضيق بالحروفِ التي تغالبه

دائماً ما يلقي بها إلى البحر

وينزل إلى الماء لكي يجمع سمكاتِ الزبدِ الذهبيةِ

وعلى طبقٍ من المحارِ الأزرقِ

يقبض بيديه على الفراغِ

ويتوكأُ على العتمةِ.

الحياة الحقيقية

كثيراً ما يقول لنفسهِ:

في الخارجِ توجد الحياةُ الحقيقيةُ

والظهيرةُ الحقيقيةُ لعالمٍ حقيقيٍ

وها هي ذي الشمسُ الحقيقيةُ

تتسكع على بواباتِ القيلولةِ

وتبدأ المصائر الحقيقيةُ

في الوضوحِ الحقيقيِّ

هل يأخذ الغبارُ فى اكتشاف ذاتِهِ؟

هل تنتهي حدودُ المجرةِ في أقصى الحجرةِ؟

وحده يعرف كيف يمسح دمعةَ الليلِ.

نوم

كثيراً ما يمسك بكائناتهِ الضالةِ

ويقدم لها المأوى شطائرَ من قصب الجسد الحي

خزينةَ ذكرياته التي تمتلئ بالكوابيس

وخضارَ الروح التي توقوق في الفلاةِ

وإذ تكتسب كائناتُهُ صفةَ الديمومةِ

يسند ظهيرته إلى حائط العزلةِ

وينام هادئاً

في اللايقظةِ.

رؤية

كثيراً ما يرسم كلماتها شجراً على البيوتِ والحيطانِ

ويعلق مناشفَها على صواري الضوءِ

وإذْ

تنبجسُ اللذةُ

صافيةً

حارةً

وحارقةً

يشهق شهقاتِهِ الأخيرةَ

ويطلق لعصافيرهِ

أن تنام تحت جسمها

كثيراً ما يود لو يرى..!

مطر العزلة الأحمر

ها هو ذا مطرُ العزلةِ الأحمرُ

يتسلل إلى شوارعِ الجسد ومنافضهِ

ويقف على النوافذِ كشاهدةٍ

فيما غرف الروحِ فارغة وباردةً تتلجلج

ولا يسرح على أرضيتها إلا سوسُ البدنِ ونشارة الزمنِ

وهيولي اللذةِ الخاويةِ.



عرش

كثيراً ما تأخذه سنةٌ من النومِ

فلا يرى سوى شمساً ذائبةً على جسم امرأةٍ ذائبةٍ

ـ فإذا ما همَّ بها وهمتْ بهِ ـ

يود لو ينام تحت جسمهِ

وها هو ذا عرشُها يدخله

فإذا هو لجةْ

وإذ تكشف عن ساقيها

يخر ساجداً وراكعاً

ويقع مغشياً عليه.

❖ ❖ ❖

الكل باطل

بأصابعي الخمسةِ هذه

أكتب على حصيرةِ السمواتِ والأرضِ

باطلُ الأباطيلِ

الكل باطلٌ

وقبض الريحِ.



تأكل

كثيراً ما يؤاخي بين النورِ والظلمةِ

بين الخيرِ والشرِ

بين الوجودِ والعدمِ

وها هو ذا ينزل ـ أخيراً ـ

إلى أرضِ العزلةِ

لكي يركب قطارات الليلِ الوحيدةِ

التي تصفِّر في الريحِ

وتخلع ساعاتِ الزمنِ الخربةِ ودقائقَه

على المحطاتِ والأرصفةِ

فلا يلمس سوى القيعانِ

وهزائم البدنِ الحيِّ

على سندسةِ البدن الحيِّ

وإذ ينكش الأرضَ بأصابعه

التي ينزُّ منها الموتُ والوحشةُ

يجلس غريباً على عتبةِ اليأسِ

وتحت مشكاوات الفوضى

يقرأ صلواتِهِ للعدمِ

ويترجل فوق زجاجِ اللغة الفارغِ

فلا يسمع سوى غرغرةِ الجسدِ

للجسدِ

وأنين المادة في الأركانِ

وها هي ذي حقيقته

تتآكلُ.

***

[1]

زهرة الخشخاش

كيف أعكسُ حقيقة السماء هذه؟

كيف أدحو كرة الأرض بين يديَّ كاللفافةِ

وأستنبت الماء من عشبةِ الصخر؟

كيف أوقد الماءَ في الجمرِ

وأستخرج الحقيقةَ من سنط اللغةِ؟

كيف أترك ليديّ أن تعملا بجوار زهرةِ الخشخاشِ هذه

وتكشفا عن حقيقة الموتِ

وتناقضاتهِ؟!

[2]

جوهر الإمتلاء

أنا النسيان ذاتهُ

أنا الحقيقةُ وخبزُ اليقين أيضاً

أنا العدمُ وجوهر الامتلاء

في نفس الوقت

أنا الأملُ واليأسُ

في سلةٍ واحدةٍ

أنا اللغةُ ومعنى الحقيقة

أنا الضدُّ الذي يبحث عن المضدودِ في كل شيءٍ

أنا

أنا كل شيء

وأنا اللا شيء

في الوقت ذاته.

[3]

ثيران العزلة

على جسمِ النهار المتدثر بخرائط الظلمةِ

أكتب أغنيتي الأخيرة

بحبر الأفق الجافِّ

وأشبك الفضاء بكلمةٍ واحدةٍ على طرف قميصكِ

أمحو ما يسمى بالليل

وعلى ذاكرة النهار الرطبة

أترك لجيوش الفوضى أن تنام دائماً و..

على وسادةِ الأفقِ هذه أدعُ الوحدة تتمشى

بينما تجرجر العزلة ثيرانها الليليةَ

وتبدأ في التذكر فجأةً.

[4]

الساعات الهرمة

ماذا عن الأمسِ الذي ينفلت بسرعةٍ نحو الهاوية؟

ماذا عن الزمن الذي أعبئه في صفيحة الخرابِ والتناقضاتِ هذه

وأدلقهُ على بواباتِ الساعاتِ الهرمةِ

وأتقاسم لذاذاتي فوق الأنقاض دائماً

ومع خفافيشِ العتمةِ أتماهىْ؟

[5]

يأس الرماد

كيف أكتب عن ساعاتِ العزلةِ بحبر اللغةِ

وأعلن عن تزاوج الليلِ والنهارِ تحت سقيفة الأبديةِ؟

كيف أعلن عن يأس الرماد لشجرةِ الوردِ؟

وتحت مجد الدهشةِ ومجرةِ الهشاشةِ

ها هي الفوضى تحاصر أبعاديْ.

[6]

تحت عريشة الأفق

أيتها المرأةُ التي تجلس تحت عريشةِ الأفقِ

وتسند رأسها إلى الحافّات

دائماً ها هو جسدكِ المنسكبُ بين الحرف والحرفِ

يكتب بيديه المرتعشتينِ على ورق الصاعقة /

أنا كلامك أيها الرجلُ رموزُك عيناي شفتاي

كتابك المبلل بالدمع دائماً

جسميْ سريُرك الأخاذ وسريرتُك كذلك

فاجمع كراريسك ودواة أحبارِك أقلامَك ومشكاواتك

واقعد هانئاً هادئاً تحت سقف بيتي

حتى ينفرط عليك ما أجلبه لك من عنبٍ وتفاحاتٍ

واسندْ رأسك إلى حافَّةِ البدنِ

فسأعلمك ما لم تكن تعلمُ.

[7]

ليس هناك من غيمة واحدة

خبزكِ معجونٌ بصرير اللغةِ ورصاصِ الحرف وفحمِ الحقيقةِ

أوراقكِ تجمع ما بين البحرِ والسماءِ في قصعةٍ

نهاراتُكِ صائفةٌ

وليس هناك من غيمةٍ واحدةٍ تحت قبة جسمكِ

ولا ظلَ ليْ

فأفترش مخدة الأفقِ هذه.

[8]

علام يدل اسمك هذا

كيف أسكن إليكِ وها هي الروحُ تتجرجر ورائي كالخطيئةِ بينما خرزُ الدمع يتكلس فوق صدغي كالعلاماتِ من فرط ما فرطتُ في وجدك ووحدتك؟

طرقُك وعرةٌ بينما لا أكاد أميزُ طريقاً عن طريقةٍ...!!

علامَ يدل اسمك هذا الذي يخرج مغبشاً بالفجر

وروائح الأنوثة الطاغيةِ

ذهبك لماعٌ....

حتى في حلكةِ الظلامِ هذه.

[9]

مزامير بالية

هل كان يتعين عليَّ أن أقطعَ الليلَ بالغناء

بينما مزاميري باليةٌ؟

حنجرتي لاتعرف كيف تخيط اللغة بحقيقةِ اللغةِ

ياالصباحاتك الغاوية

ويا لفجركِ الظميء

لوصمي.؟!!

[10]

ظهيرة الأفق

فيما أحدِّث عن عينيكِ اللتين تختبئان خلف قلبيْ

كانت يداكِ اللتان تعرفان جيداً كيف تكنس ظهيرة الأفقِ

تكتبان على حائطِ الأبديةِ الضخمِ/هنا

يولد العالمُ للمرةِ الأولىْ.

[11]

حديقة الأبدية

شمسكِ نائيةٌ وبها أضاليلْ

كتاباتكِ تفصح عن الفوضى

ونعلاكِ يظلِّلان حديقة الأبديةْ

على مرمى البصر يقف طائر العزلةِ

وهو ينفِّض بمنقاره الأبيض حشائش الجسدِ ورغائبَهُ

وبينما يقضم تفاحة الزمن المعطوبة هذه

يستمرئ الهدوءَ واليقظةَ

أقمارُكِ تكشف حقيقةِ الليلِ

وإذ يتوكأ النهار على عصا الليل الهشةِ

يترك لجلابيبِ الظلمةِ أن تسايل على الجدرانِ

وتتوقف عند النوافذِ شاخصةً

فلماذا تحدق في الظلمةِ؟

وعلام يتبعك النهار

وهو غارقٌ في التلصصاتِ والعتمةِ؟

جسمكِ كتابةُ الحقيقةِ

ولا يخضع للتماثلِ...!!

❖❖❖

[12]

قمر الغواية

من المستندةُ على الوجع بخرائبها؟

من القائمة عرشها على النار؟

من التي تعرف كيف تسيِّج الوحشةَ

وتنام تحت قمرِ الغوايةِ الأبيضِ

ولا تلوذ إلا بالجحيمِ دائماً؟

[13]

عبر الأودية

عزلتكِ هذه غريبةٌ عليَّ

أيقوناتكِ من الكلامِ والجمرِ

صدركِ من قطيفةِ الضوءِ التي لا تبلىْ

عيناكِ غمازتان

همازتان

لمَّازتان

وتمشيان بالكلامِ والسحرِ

صلواتكِ التي تتردد عبر الأودية يتنصت إليها الحصا والرملُ

وينتظرها النهارُ عند كل مشرقٍ

ومغربٍ

بكِ يهتف الليلُ

ويتخذ له معنى

على شرفاتكِ يتوضأ النهار بدمِ الهلكىْ.

[14]

ماساتك تملأ الأفق

أي غيابةٍ تلك التي تلقين بعشاقكِ إليها ؟

وفي أي جبٍ تخبئين شهبكِ التي تشعُّ في الأقاصيْ؟

ماساتكِ تملأ الآفاق

وجواهر نعليكِ تتناثر في الأركانْ

في بحيرة العينين الصافية يبلغ الكلام مأمنه.......!!

عند أي جبلٍ تنصبين فخاخ سننكِ؟

يا ذهب الزمرداتِ هذه هي إذن حقيقتكِ

آه

يا عسلَ الكلامِ

ويا عنب الليل السكران

تلك إذن أغانيكِ القديمةُ

يا تعويذة العشاق من كل جنسٍ ولونٍ

ومن كل فجٍ ومضيقٍ

هذا هو إذن ذهب شفتيكِ

وتلك أخيلة كلماتكِ

يا خميرةَ السماء والأرضِ

ويا سندس البحر

تلك نهايةُ معانيكِ.

***

[15]

معناك

كلامكِ أقوى من الرمز

ورمزكِ أقوى من الإشارة

وإشاراتكِ منتهى الطلب

معناكِ عندي أقوى من السماء والأرضِ

فما هو معناي إلى جواركِ ـ إذن ـ وأنتِ سيدة المعنى

يا بهيةَ الجوارِ والمطالعة.

[16]

جحيم الرغبة

ألوذ بكِ من كل هالكٍ وحالكٍ

ألوذ بكِ من كل حقيقةٍ وغيْ

ألوذ بكِ من ذهب الجسدِ وجحيمِ الرغبةِ

في ظهيراتِ العدمِ واللامبالاةِ

ألوذ بكِ من ثباتِ المعنى وزحزحةِ الحرفِ

أو ثباتِ الحرفِ وزحزحةِالمعنى

ألوذ بكِ من اهتزازِ الصورةِ

وانجراحِ الجارحة

وذبذبةِ الرؤيةِ

وفضيحةِ الروحِ إذ تنكشف أمام سرمديةِ المادةِ

ألوذ بكِ من اهتراء الجوارحِ وهي تعلن على الملأ نبأ

وصللكِ

ووصولكِ.

[17]

حدس

ألوذ بكِ من خيانة الحدْسِ

وتفكك اللغة

وغبش الفجر فما لفجركِ من غبشٍ وتهتهةٍ

ما لضلالاتكِ من هيئةٍ

وما ....

لكلماتكِ من حد ومطلعٍ

ألوذ بكِ من كل إشارةٍ ورمزٍ

من كل إشارةٍ لا تفضي إلا إليكِ

ومن كل رمزٍ لا يحيط إلا بكِ

كيف تصفكِ كلماتكِ لي؟

أشعر بالخراب والخيبة

أشعر بالضعةِ

يا صانعةُ...!!

[18]

عمى

ألوذ بكِ من كل علامةٍ لا تقودني

أنا الأعمى والضلِّيلُ إلى ناحيتكِ وجواركِ.

[19]

مشكاة

ألوذ بكِ من كل فجٍ لا تقومين به أو تكونين فيه

وألوذ بكِ من كل ضوءٍ لا يغترف حقيقة

وضوئه من حقيقة ضوئكِ

أما أنتِ فمشكاةٌ.

[20]

أقبض عليك بالحواس

ألوذ بكِ من كل سهرٍ لا يفضي إلى الحمى

ومن كل حمى لا تفضي إلى السهر واللذةِ

حمَّاكِ تزلزل الأرضَ من تحت قدميْ

وزلزلتكِ سكونُ الحركةِ

وامتناع الحركة عن السكون

أغيب فأرى

وأغيَّب فأرى

ثم أغيب فأرى

وإذ أراكِ أقبض عليكِ

بالحواس والهيئةِ.

[21]

قلب الصورة

على طرقك يتقاتل النورُ والظلمةُ الخيرُ والشرُ

العدمُ والوجودُ المعنى وشكل المعنى

على بواباتكِ تقف الظلمة حارسةً لمعناها

ويرتد اليقين أعمىْ

في سمواتكِ تنهزم الظلال دائماً

ولا يُكتب على الحواف إلا ما له من إشارةٍ

أصعدكِ وجبلكِ عالٍ

أشربكِ وغيمتكِ لا تهطل

أتملاكِ ووجهكِ محتجبٌ

أنظركِ وأنتِ في الشغاف أبداً

وأبصركِ وأنتِ في درجةٍ أخرى

بين المحو والصحو بين الحقيقةِ والشكِّ

بين الوجودِ والعدمِ

وأنتِ أنتِ قلب الصورة فيا قلبَ الصورة

لا تتخل ـ دائماً ـ عن المركز

لأن المركزَ قد التصق بالمحيطِ واندفع المحيطُ للساحل

وليس أمامنا سوى اليم ولم يعد ثمت قبل أو بعد

فالقبلُ والبَعْدُ علامتانِ بشريتانِ لا وجود لهما البتة

ونحن على مشارف الجحيمِ والغرقِ!!

***

[22]

آثار السفر

على أصصكِ المزينة بالجواهر والزينةِ

يصطف كل طائرٍ أتى من الجهاتِ

وعليه من آثار السفر وقساوة الطريق

ما لا تفصح عنه اللغةُ ولا تقترب من هيأته

حقيقةُ الرمزِ وسيلُ الإشاراتِ.

[23]

ينبهر الضوء

على حوافِّ مشكاواتكِ ينبهر الضوء

ويقف الظلامُ كالقتيلِ

وتطوى السموات في ناحيةٍ

وإذ تصبحين تنثرين النجومَ كالدر في السكك

وذلك بدلاً من الرملِ والحصا.

[24]

عند كل ربوة

شجركِ معلَّم عند كل ربوةٍ

وبين كل خطوةٍ

وخطوةٍ

تأخذين بالألباب.

[25]

زجاجة الشمس

عيناكِ تدوران في الأفق

وتمسحان الغبار عن زجاجةِ الشمسِ

وبيديكِ هاتين تبرئين جرح كل عاشقٍ

وتقفين في الوَصَبْ.

[26]

تدفق الأودية

عند مجراتكِ السبع تتدفق الأوديةُ بالماء

وتنعقد حقيقةُ الرؤيةِ

وتتحول الحقيقةُ إلى وهمٍ ويتحول الوهمُ إلى حقيقةٍ أيضاً

أي خرابٍ هذا الذي ألاقيه فيكِ؟

وأي سحرٍ هذا الذي يتجرجر وراءكِ

كالشَّرَك؟!!

[27]

استيقاظ

على بواباتكِ يتلألأ الزمردُ الأخاذُ

فينتبه كل سمعٍ

ويستيقظ كل بصرٍ

وتتئد كل بصيرةٍ

أما عن المصافحةِ فتلك نهاية المطافِ.

[28]

اشتعال

فجركِ يولد من تحت الأنقاض دائماً

وحرائقكِ كثيراً ما تشعل الأفقْ.

[29]

صهد الأنوثة الصاهل

حقيقتكِ هذه آخذةٌ من كل شيء/

من غيبةِ الرمادِ

وشبقيةِ الوردِ

من صهد الأنوثة الصاهلِ

وعَرَق الذهبِ الحارِّ

من سندس المعدنِ

وسخونةِ الرصاصِ

من حقيقة الشك وعبثية اليقين

من حضورِ الغيبةِ

وغيبةِ الحضورِ

من خميرة المعرفةِ

وأطلال الجهالاتِ

من ضبط الشكل والجوهر وانطباقها

إلى درجة انعدام الوزنِ

من انبثاقة الموتِ في البدن الحيِّ

وحياة الموت

في الخليةِ

من انحلال اللغةِ في الحرفِ

وترابط الحرف بالحرف

من قطيفة الضوءِ واهتزازة الظلِ في قلبِ الصورةِ

من فطيرةِ الحقيقةِ

إلى كمال الرغبةِ.

***

[30]

أبدكِ أزل

حقيقتكِ التي تعلن الخلاصَ دائماً

هي هي التي تجرجر اليقين وتدوخه

و... تطلق الضوءَ

بينما تنثر الظلام فى الأفق

وتتحدث بكل لسانٍ وتقف أمام كل معنى

وتعقِّد كل لسان

وتعقد كل معنى

سهركِ حمى أيتها الغاويةُ و...

موتكِ حقيقةٌ وضلالكِ يقينْ

أبدكِ أزلْ

وأزلكِ أبدْ

ألفكِ ياء ظالمة

وياؤكِ ألف مستبدةْ

هل لكلامكِ من جسدٍ فنقبضَ عليه

يا لفوضاكِ الآثمةُ وأثمكِ الذي لا حدود له

ويا لخيبة الروح التي تتبعكْ؟!!

[31]

لا نجوم لي

أصرخ/

ألويتكِ معقودةٌ عند كل ناصيةٍ

ولوائي معقودٌ على ناصية الفوضى

شمسكِ دائمة الخضرة

وشمسي جافة وتتلاشى

كلماتكِ جوهر اللغة ذاتها وكلماتي ترابُ المعنى

جبينكِ أخاذٌ ويعرف كيف يغتسل بالضوء

وبينما أنا حالك الليل

ولا نجومَ لي فتلمع في الأفق

هزائمكِ التي أخالها هزائمي تنطبع على جسمي

كتاريخ لملكٍ مغلوبٍ

وله فتوحاتْ.

[32]

أيتها المقدسة

أريد أن أقبض عليكِ بالقلم

أن أتلصص على عينيكِ بحذرٍ لئلا أندفق

أريد أن أقبض على فراغكِ

وأضمه

أيتها المقدسةُ

يا شفيعةُ

بي براكين منكِ

وبزلازلكِ - التي لا تهدأ -

ما يسند قامة الأفق هذه

وإذ تتداعى.

[33]

أين هو مكانك

بطلّسماتكِ ما يقوي من عرا الحقيقة

ولكلامكِ ما يزيل الشك

ويمحو الحقيقة أيضاً

فأين هو مكانكِ فنتعرف عليكِ بكِ أحياناً.

[34]

الذهب الحار

بأنهاركِ التي تنبع من خلال أصابعكِ وتصب هناك عند القبةِ

ما يزيد من مساحة الخضرة الماثلة في حديقة العينين

لحنطتكِ اللانهائية ما يكفي لملء الأرض باللذة

وبالذهب الحار كذلك

وعند صهاريجكِ الملآنة بالمودة

يقف كل طائرٍ يطير بجناحيه منتظراً إجابةً..!!

[35]

يلمع العرق النابت بين نهديك

من على شفتيكِ المطعمتين بالزمردات واللؤلؤ

تتفرخ الحروف كالبراعم

أما المعاني فتتسايل من خلال عينيكِ

كالحقائق

يواقيتكِ تتلألأ على البحر

فيما يلمع العرق النابت بين نهديكِ

كالحبَّات من الحجر الكريم.

[36]

يا خائط العوالم

إذ تأخذكِ سنة من النوم والنعاس

يرتجف النهار ويغشى على الليل

إذ تنفرج الشفتان

ينجرح قمر الظلمة

الوحيدُ

إذ أراكِ

أهتف:

يا خائط العوالم خطني.

***

[37]

المرأة المجرة

افسحوا المكان لزمنٍ آخرٍ

افسحوا المكان لعزلةٍ أخيرةٍ

ما من شيء يشبه هذه المرأةَ/المرأة المجرة.

[38]

ينتصب جسمك عالياً

شمسكِ مكسوة دائماً بحليب القبلات وعنب الليل

يداكِ مضمومتان وتمسكان شواطىء النهار برفقٍ

على سواحل قلبي المغموسة بالرصاص والقصدير

وذهب الأفق

ينتصب جسمكِ عارياً

وعالياً يرتفع اسمكِ

ونهداكِ يكشفان عن حقيقة العزلةِ

بينما عيناكِ نجمتان تغرقان في مجرة الغوايةِ.

[39]

نجمة آفلة

ما من شيء يشبه هذه اليدَ التي تحيك زهرةَ النارنج

الوحيدة حول قلبي

وتكنس الصقيعَ من على عتباتي

أي نهارٍ ذلك الذي تغلِّقين عليه الأبواب؟!

أية سمواتٍ تلك التي تدللينها؟

أي ليلٍ تمشطين به شعركِ الجميل هذا

وتنتظرين خلف نجمةٍ آفلةٍ؟

***

[40]

تماثل

جسمكِ يودع الخراب وينعم بسكينة الضوء

ويتشبه بالأبديةِ..!!

[41]

ندى الليل

هل بحاركِ من ندى الليل؟

هل حقيقتكِ من أبجدية اللغة والحرف؟

هل غيابكِ دليل وحيدٌ على حضوركِ الدائم؟

ولماذا أحار فيكِ؟

يا حيرتي انتبهي جيداً إليها ويا وهمي....

أليس وهمَها الوهمُ؟!!

***

[42]

حدود

افسحوا المكان لزمنٍ آخرٍ

ونسيانٍ أخيرٍ..!!

[43]

أقف أمام تعاليمكِ كالجاهل

سرَّتُكِ هذه يتقاتل عليها الملوكُ بالسيوفِ

وتنكسر على أبوابها التيجانُ

ربما..

تنظرين إليهم بلا مودةٍ وبلا رحمةٍ

تطئين عروشهم أيضاً وبلا ندمٍ حقيقي

كذلك تفعلين ما تفعلين

تتسللين إلى قلبي كقطرةٍ من ندى الليلِ

تنتظر شمسَ الصباحِ الوحيدةَ

كيف أكتبكِ على حريرِ اللغةِ

وليس لديَّ من اللغةِ غيركِ

وها أنذا أقف أمام تعاليمكِ كالجاهلِ؟

[44]

المرئي واللامرئي

كيف أصفُكِ لكل شيءٍ/

الزمان والمكان الوجود والعدم المرئي واللامرئي

وأصابعكِ الرقيقة هذه تعزف على أوركسترا الأفق

نغمة الهشاشةِ.

[45]

جلابيب الغيبة

مساءاتكِ لا تصلح إلا لعشاقٍ

وجوعى خبزكِ من عجين المحبة الصافي

دعيني أنظر إليكِ أيتها المتلفعة

بجلابيب الغيبة وهلاوس الحضور

تقدس اسمكِ تقدست لياليكِ تقدس نهاركِ الزمرديُّ

أيتها المغروسةُ في تربة الشغافِ!!

[46]

شرفاتك الجهنمية

أي ذاكرةٍ يمكن لها أن تستوعب هذا الفجر الهائل

الذي يطل من عينيكِ

وها هو ذا الليل يقف وحيداً على شرفاتكِ الجهنميةِ

فيما شمسكِ اللاهبة تبخُّ اليتمَ والمودةَ؟

[47]

الوَدْق يزداد شهوة

ماذا أفعل بالزمن وأنتِ الزمن ونقيضه

ـ قلبي مجرةٌ مكسورةٌ على حواف الأفقِ ـ

نهاري كله لا يصلح لاصطياد غيمةٍ

رغباتكِ اللانهائيةُ تجعل الودْق يزداد شهوةً

على حصيرة الأفق تمددين رجليكِ

وينبسط جسمكِ الأخاذُ كالألف

وها هما نهداكِ العنيدان يتلاعبان بقسوةٍ أمام عينيَّ

فيما يؤلف الضوءُ بينهما

فيزدادان شراسةً وشهوةً..

ويشهق الأفقُ إذ يفكِّك القميصَ.

[48]

فحم الجسد

هذه المعارك اللامجديةُ هذه الحروب التي بلا طائلٍ

هذه الأبدية الرثةُ

قطاراتُ الدهشةِ عنابرُالليلِ المغطاةُ بالإثمِ والقسوةِ

عناقيدُ الظلمةِ التي تنفرج على سواحلِ الليلِ والنهارِ

كتابةُ الريح بفحم الجسد كلماتُ الرصاصِ والخشبِ

صفيرُ الروحِ التي تبقبق في الخلاءِ ذاتهِ

عنقُ الوردة إذ ينكسر في الظلِّ سؤال اليقين والشكِّ

ساعات الحسرةِ والندم خدعةُ الحواسِ

وضيافتها أيضاً أرائكُ اللذةِ إذ تتهيئين للرفضِ والقبول

موتُ الحقيقةِ على جسمِ امرأةٍ تنام عاريةً أو شبه عاريةٍ

كآبةُ الغصة التي لا تفصح حقيقةُ الموت موتُ الحقيقة

كتابة الأسرى على زجاج الفراغِ الباهت

صلاةُ الأرقاءِ في العتمةِ ونزوةُ الليلِ صحراواتكِ العذبةُ

أنهاركِ المالحةُ

يقظةُ النهار وهو يتتبع خطواتكِ

بينما يعرف جيداً معنى الهلاك والصبوةِ

كلماتكِ التي تشبه البرقَ والرعَد

زمرداتُ عينيكِ إذ تحيي وتميتُ

تضاؤل الأمل والبحث الدائمُ عن السلامِ

سخريتكِ الدائمةُ من القدرِ

وانطفاؤكِ على عتبة اليقينِ هذه

هذه كلها لكِ.

* * *

[49]

كرة المطاط

أشجارُكِ تطل على الحوافِّ دائماً

قمركِ يأخذ بيد الليل إلى المنحدراتِ

ويتسكعان كطفلين عاشقين

يواقيتكِ تلك التي ينشغل بها الزمنُ

كثيراً ما تخيم أمام عزلتكِ اللانهائية

وتختم بخاتم العشق على جغرافية القلبِ

هدوؤك القوي في ساعات الندم والوحشةِ

يصنع من الأبديةِ كرةً من المطاطِ

ليغسل عليها النهارُ بعض أحزانهِ.

***

[50]

ذيل جلابيبكِ

ها أنتِ ذي تربطين الأفق في ذيل جلابيبكِ

وحول أصابعكِ المطرزة بعرق الجنات وخلاخيلِ الأنهارِ

يلتف الزمنُ كالخاتم وتتعرف إليكِ السندساتُ

من غير ما تعبٍ أو نصبٍ

هذا غير ما يسيل من جسمكِ من إشاراتٍ ومعانٍ.

[51]

هو ذا النهار يتعلم

ظهيرتكِ تفيِّئُ الظهيرةَ

من أين خرجتِ أيتها المكللة بالبروقِ؟

ومن أين جاءكِ المخاضُ؟

وها هو النهارُ يتعلم

كيف يجلس تحت قدميكِ كالنبتةِ؟

[52]

من خلال أصابعكِ

ها هي الحروف تكلمكِ

والأنهار كلها تجري من خلال أصابعكِ

وتنبجسُ من تحت قدميكِ

الشموس تزحزح النجوم كي تستقر كلها بين شفيتكِ

أي كلامٍ لك هذا الذي تقولينه ويشبه الجمرَ؟!

أي كتابةٍ لكِ تلك التي هي علامة على الموتِ والحياةِ؟

[53]

آثار قدميكِ تنطبع على الحديد والصخر

آثار قدميكِ تنطبع على الحديد والصخرْ

عنقكِ لا يشرئب إلا لغايةٍ لا يعلمها إلا هو فيما يكلمكِ الحصا

وتهتف باسمكِ الريحُ وعينكِ سيلُ إشاراتٍ وأوديةٌ.

[54]

انجراح

أكتبكِ فتنجرح يدي

أقرؤكِ فأصاب بالعمى

أسمعكِ فترتبك بقية الحواسِّ

ألمسكِ فتشعل كافة الحرائقِ.

❖❖❖

[55]

سِمات

كيف لكِ في الحضور

وأنتِ سمة الغياب؟

وكيف لكِ في الغياب

وأنتِ حقيقة الحضور؟

[56]

أيتها المرأة

أيتها المرأة/

لا النورُ ولا اليقظةُ لا الوردةُ ولا حقيقةُ الوردةِ

لا الكمالُ ولا النقصانُ

لا الحدسُ ولا الحواسُ لا الرغبةُ ولا اليأسُ

لا الندمُ ولا الحسرةُ

لا التلاشي ولا الذوبانُ لا الشمسُ ولا القمرُ

لا حقيقةُ الكمونِ ولا حقيقةُ الظهورِ لا الغيبة ولا التجلي

لا السهر ولا الغفلة لا الصهللة ولا الهلهلةُ لا النقمة

ولا الهزيمةُ لا العزيمةُ ولا الإرادةُ لا اليقينُ ولا اللايقينُ

لا المرئيّ ولا اللامرئيّ لا التشبثُ ولا التثبتُ

كلها كلها يمكن أن تقربني منكِ

أو تبعدكِ عني.

[57]

فيما يطوقني النهار بيديه

فيما تشتعل رغبتي أشعل الفجرَ أيضاً

فيما يطوقني النهارُ بيديه

أقطف نجمةَ الفجرِ الوحيدةَ وأسترسلُ

فيما أنطفئ تتزاحم الكلماتُ على شفتيّ

لدرجةٍ يصعب معها غير البكاء والوطِء

فيما أنظر إليكِ أتطلع طويلاً إلى الشمس التي تحرقني.

***

[58]

صوان الرغبة

إذ أتربع على صوان الرغبة أطوِّق العالمَ وأكشفه...!!

[59]

طائر العزلة

أنهارك التي لا تجفُّ أبداً

يصاعد منها الماءُ عالياً ليحمل السماءَ على كتفيه

عينكِ التي تشع باليقين دائماً أتشبث بها لأنها الحقيقةُ الأخيرةُ

آثار نعليكِ بقايا كويكباتٍ تسقط على البحرِ

و بقاياكِ لغةٌحروفكِ كتابات لعرافين يعلمون الناس السحرَ

وعلى أشجاركِ العالية يقف طائر العزلةِ

منكفئاً على أريكةِ الرغبةِ

مالفضة عينيكِ لا تقولان؟

سركِ كامنٌ بين الصلبِ والترائبِ

وعلى عجينة الجسدِ تختلط كافة العناصرِ

هل تشبهين الطبيعةَ ذاتها وفيما الطبيعةُ تشبهكِ؟!!

ـ وماذا تقول الطبيعة فيما لو أرادت أن تقول كلمتها سوى أن تبرز استدارة نهديكِ تحت ضوء الشمس الذي يشع عالياً؟ ـ

تحت خطواتكِ يتقاطر شجرُ الكلامِ وتهتز أوراقهْ

ـ قمرٌ أخضرٌ صغيرٌ ينزرع في الظلمةِ ـ

على أناملكِ الرقيقة آثارٌ لجيتارٍ

فيما يعزف الليلُ أغنيَته الأخيرةَ

نجمةٌ ضالةٌ تتلفت عليكِ

عنبكِ لا صنع السكرَ وحده بل يُذهب العقلَ أيضاً

هواؤكِ لا يطبع الذاكرة بطابع النسيانِ فقط

وإنما يذهلُ عن الرؤيةِ كذلك.

[60]

تحت سرة الجسد

حين أتذكركِ أشعر أن عالماً بكامله

يرقد تحت سرة الجسد هذه...

ها هو الحنينُ ينفجرْ ها هي الرغبة تعلو

أشعلوا لها المصابيح لئلا تضجْ

أوقدوا لها الشموع لئلا تخافْ

على أسرتكِ المضاءة بالرغبة والصبوةِ

دائماً ما يتوقف قمرُ النسيان ويتظاهر الزمنُ بالتلاشي

وعلى حواف شراشفكِ الأثيرةِ

يقضي طائرٌ وطرَهُ ويقيم بقية لياليهِ

تلك إذن شريعتكِ

يا جافيةُ.

***

[61]

سيول

لماذا تذكرين هذه العبارةَ دائماً ؟!

ـ مياهٌ كثيرةٌ لا تغرق المحبةَ والسيولُ لا تغمرها ـ؟

***

[62]

النهار أينما يذهب

ألأنكِ لا تقدرين على البوح تتركين لعينيكِ أن تقول؟

ألأنكِ تطلقين الصباحَ في عطلةِ كل يومٍ

تقفين على شرفة الفجر وتتعقبين النهار أينما يذهبُ؟

ألأنكِ تخبئين الشمس بين أصابعكِ كالقراصنةِ

تتحكمين في لغةِ الضوءِ أيضاً؟

ألأنكِ تربطين حول وسطكِ مدامع العشاقِ

تتركين على الطرقات من يهتفون باسمكِ

ولا يعرفون إلا طرقكِ؟

وماذا يفعل لكِ الغرقى؟!

* * *

[63]

ألقي بنفسي إلى اليم

على أمواج بحركِ الطامي أخلع ما عليّ من سراويلَ

وألقي بنفسي إلى اليمِّ

وها أنذا أصارعُ الغرقَ.

[64]

صبوة

فجركِ يطل من كل ناحيةٍ وصبوتكِ باذخةٌ.

[65]

سأتوقف قليلاً

على شواطئ عينيكِ الدافئتين سأتوقف قليلاً

ريثما تجف سراويلي

وألقي بنفسي إلى آخر السفن التي تعبر بعيداً عن الجاذبيةِ.

[66]

طرقكِ وعرة

أسماككِ طافيةٌ حول قلبي

وطرقكِ وعرةٌ ولا يسلكها غير الهلكى..!

***

[67]

بلقيس

لماذا أتذكر بلقيس دائماً

وأنا أكتب عن عينيكِ هكذا؟!

لمرةٍ أخيرةٍ سأقول لكِ :

أحبك يا دامعةُ..!!

***

[68]

يصطحب معه الريح

اسندوني لئلا أقع في الهاويةِ

ـ ها هم العشاق ينتظرون بزوغكِ من كل فجٍ ـ

سيِّجوا عليَّ بالأغاني فكلماتها تسد كافة المنافذِ

وتستنفذ الطاقة وتختم على كل سمعٍ وبصرٍ

ولمسٍ جسدها يستحيل إلى شواظٍ ولظى

وهي تقف في العاصفةِ

عينها تلمع كأنها تثقب الأفقَ

نهداها الجليلانِ لا يبرحان مكانيهما على زمردة الصدر

بينما يتجولان بحريةٍ

وعبر الآفاق كرمانتين كونيتين لا تشيخان أبداً

هل يثيرا مكامن اللذة وبينهما من السمعِ والكلامِ

ما لا تقدر لغة على وصفهِ أو كشفهِ؟!

شعرها يتخطى مدارَ الجاذبيةِ

ويصطحب معه الريحَ إلى حيث البراري البعيدة لسرمدية اللذةِ

بلا أملٍ أيضاً سأنتظركِ عند كل فجٍ يا شفيعةُ

وأمام كل زاويةٍ سأنصب مراصدَ الرؤية

لعلها تأتيني منكِ بقبسٍ

أو أجد على ناركِ هدى نيرانكِ التي تشعلينها عند فجرٍ

سأقبضُ عليها بكلتا يديّ

فلا تكون إلا برداً وسلاماً.

***

[69]

جنونكِ الجميل

ماذا أقول عن جنونكِ الجميل الذي يشبه الجمر؟

***

[70]

صعق

بيدي هاتين سأخلع عنكِ ثوبكِ الجميل هذا

وأتحمل لحظة الصعق هذه

محوكِ صحوٌ

وصحوكِ محق.

***

[71]

قدرة

سأنفخ فيكِ بإذني وأسويكِ طيراً.

***

[72]

كلامكِ الذي يشبه قطيفة الرب دائماً

مطركِ يأخذ بالألباب

وهو مطرزٌ بالإشارات والرمزِ

على منجرف السيل ـ هذا ـ

تشعلين آخر ما يتبقى من جلابيب العتمةِ

وها هو ذا كلامكِ الذي يشبه قطيفة الربِّ

يقف على بوابات الأبديةِ

لكي يقرأ العالم ويؤوله

هل أنتِ محض أكاذيبْ

أم أنكِ الحقيقة التي تصنع التناقضَ؟

***

[73]

رهبة

في طرقك المسكونة بالطواغيت دائماً

لا يأتي العشاق إلا فرادى

أما ذوو الحاجات فيمسكون عن السمعِ والبصرِ والكلامِ

لئلا يضيع منهم الدليل.

***

[74]

خيانة اللغة

كتابتك خيانةٌ للغة ذاتها

وقراءتك تحتاج الأبديةَ

أما عن الرؤية

فحدث ولا حرج!!

[75]

مراكبي التي تعبر بعيداً عن الجاذبية

هل ساقاك مؤسستانِ على قاعدتينِ من إبريزٍ حقاً؟

هل هما هما عمودا رخامٍ حقيقةً؟

وماذا عن شمسك التي تشرئب في الذاكرة كالنواقيسِ

وتحت سقف بيتك تنتشر المشكاوات

ويتلألأ قمرٌ وحيدٌ على الجدرانِ

أيتها الموجة التي تنحت الشواطىءَ

أما من لحظةٍ واحدةٍ من السكينة لأنتشل غرقاي

وأرتقَ مراكبي التي تعبر بعيداً عن الجاذبية

وأتأهب لك ومثلما تتأهبين لي

مداراتك هي الأبدية نفسها.

* * *

[76]

غياب وحضور

آه

يا غيابها الجميلَ

ويا حضورها الأكملَ.

[77]

أتسكع على الشطوط خَرِباً

لماذا أتسكع على الشطوط خَرِباً وخاوياً

وكقرصانٍ أحمل ذكرياتٍ مالحةً

فيما تقف هذه النجمةُ الوحيدةُ

على خيطِ الأفقِ

الذي يتدلى غويطاً

في الفراغِ المحيطِ بيْ؟!

[78]

فيما يختلج الجسد

ماذا أفعل بأكداس الفوضى هذه

ساعات الرمل والزرقةِ

محنة الانتظار بلا طائلٍ

شبق اللحظة في اللحظةِ

فيما يختلج الجسد لصمصة الجسدِ

ورفة الجفنِ للجفنِ؟

[79]

أكدّس الفوضى

كيف أكدِّس الفوضى بين شفتي هاتين

وأحمل الزمن خلف ظهري كالجثة؟

ربما أشعل النار في الوقت

وأستنزف الأفق بلا مودةٍ

وأنثر الساعات الهرمة فوق حائط الغوايةِ

آه

يا غيابها الجميل

ويا حضورها الأكمل.

❖❖❖

[80]

أن أستسلم لدقائق العزلة

أقدر أن أستسلم لدقائق العزلةِ وتفاصيل الغواية

لماذا يومىء الجسد للجسد ولا تومىء اللغة للحرف؟

كيف يمكن لي أن أمد يدي هاتين

وأنتشل نجمة غريقةً من على القاعِ؟

أتعلق ببريق عينيك

إذ يومضان كشهابين عابرين

بين قواقع الظلمة ومجرات العدم

وأنام حاضناً متاهاتي.

[81]

الزمن ينام كالرخ

غواياتك ثقيلةٌ عليَّ

أما عزلتك هذه فشمسها قاسيةٌ

وها هو الزمن ينام كالرّخِ

هادئاً في حديقتك

بينما يقبض بأصابعه الرنانة

على شمسي التي تنعصرُ.

[82]

صَدَفُ الصُّدْفةِ العمياء

ها أنذا أطأ حواف الذاكرةِ

وأحمل نشارة العدمِ خلفي

مثل بقجةٍ من الذكريات الشائكةِ

وأرحل منجرداً على بحيرة الغياب هذه

وصَدَف الصُّدْفةِ العمياء

فلا أعرف أي طريق أسلك

ولا أين تكمن الهاويةُ...!!

***

[83]

أقمار تغطس في سماء المخيلة

أتوكأ على سلالمِ الحروف

وأنعس قدام زهرةٍ بريةٍ وحيدةٍ

وأصاحب عدة أقمار تغطس في سماء المخيلة و...

لا أؤاخى سوى العدم والندم

وأسأل/

لماذا تحدق الهاوية فيَّ؟

لماذا أتعلق بالفراغ هكذا؟

***

[84]

خيمة الأفق هذه

أزحزح أشجار الرمل والصبار عن خيمة الأفق هذه

وأكنس غبار السموات بيدي هاتين

أعرف أن زجاج اللغة فارغ

أنت الحقيقة ونقيضها.

[85]

فيما كنت أجلس على شاطيء البحر

في ذلك الصيف وفيما كنت أجلس على شاطيء البحر

أتت نجمةٌ غريقةٌ تشق الماء

مثل سمكةٍ من أسماك القرش الهائلةِ

فيما تجرجر الشمس والقمر خلفها

وإذ توقفتْ سألت/

ألك حاجةً أيها السيد

حتى أقضيها لك

هكذا قالت النجمةُ ـ الغريقةُ ـ

وإذ هممت بالكلام

انطفأتْ

ومضتْ..!!

[86]

أشجار الفوضى

على أرائك اللذةِ تتفرع أشجار الفوضى

وتنتشر النجوم بحيويةٍ

ربما تتجمع مجرات بأودية وزبد أيضاً

في حقيقة الحرف تكمن أبدية السؤال وأزلية الجواب

وها آنذا مثل...

شمسٍ أخيرةٍ تنفجر في المجرةِ.

* * *

[87]

حتى مطلع الفجر

لماذا يتجمع دمك الأبيضُ المتفحمُ أيتها الوردةُ

في كل ليلةٍ على طاولات المجاز هذه

ويسهر حتى مطلع الفجر

وإذا سألتك عن شيء لا أجد غير الدمعْ؟!!

[88]

وإذ يترجرج الزمن

لا أريد أن أتحدث

أريد أن أجلس إلى هذه الوردة

لا أريد أن أحكي فقط

أعلّق كتابة الغيمةِ على سترة الريح

لماذا أتذكر عينيك دائماً أيتها النجمةُ وأنا في غمرة الزلزلةِ؟

هل لذلك علاقة بالموت؟

هل لذلك علاقة بالحياة؟

ألأن المحبةَ قويةٌ كالموتِ

أريد أن أقبض على الضوءِ

وإذ يترجرجُ الزمنُ على حدقةِ الأفقِ؟

[89]

أنصب شبكة الدمع

لم يعد ثمت أين ولا متى أو كيف..

فقط

أكتب اسمك على حوائط الجسدِ

وأنصب شبكة الدمع كمحاولة أخيرةٍ

لاصطياد فراشةِ الذاكرة الهرمةِ

وأصادق اللغة الوحيدة التي تعرفها المرأة/ الجسدَ

وأكسر حدة الرمز والإشارة

وبمعاولي تلك أمحو ما أشاء

وأثبت ما أعرف على دفاتر الفقدِ

وما بين دائرتيْ المحو والإثبات

أنطفىء دائماً

كقمر مضيء.

[90]

لذا أصابه الجنون

أهدم حقيقة السؤال والجوابِ

لماذا كان نيتشه مهموماً بهذه المرأة إلى هذا الحد؟

هل كان هيراقليطس يدرك أهمية أن تنزل النهر مرتين؟

وأن السماء أنثى؟

هل كان نيتشه يفتش في جسد سالومي

عن حشيشةِ الرغبةِ ومكعباتِ اللذةِ

أم كان يدرك أن جسدها عليه من كنوز الغواية

وحقيقة المعرفةِ

فوق ما يقدر أن يرى

ولذا أصابه الجنون من جرَّاء ما رأى؟!

[91]

يبحث عن موته الجليل

ها هو ذا يبحث عن موتهِ الجليلِ

في هواء الأنوثةِ الجليلِ أيضاً

ويقعد تحت سقيفة اللغةِ

ليصنع بيتاً من هواء الأنوثة الحامضِ

ويؤرخ لتواريخ اللذة وما وراءَ اللذةِ

ـ لا تحسبوا أن الجسدَ بحد ذاته هو المشكلة ـ

بل المشكلة تكمن فيما وراء كل ما هو جسدي.

[92]

زارادشت

هل كان يعرف أن زارادشت هو النبي القادم

للزمن القادم في الماضي القادم

ولذا تحدث بلسان مرئياته ولا مرئياته أيضاً

وأعلن عن توبته من جسد سالومي وهيروديا

وأخذ يطأ حواف المجراتِ بقدميهِ

ويعقد صداقته الدائمة مع الريح؟

لماذا تحدث عن القوة ورأى في الإنسان القادم

حلاً لمشكلة الأبدية

/الله؟/

هل أحلَّ الإنسان محل الله؟

أم أحل الله محل الإنسانِ؟

هل كان يهدم ما يسمي تارة بالميتافيزيقا

وتارةً بالأساطير؟

هل كان يخضع لكل ما هو جماليٍّ خالصٍ

بحيث تحول الجماليِّ لديه إلى إنسانيٍّ محضٍ

وتحول الإنسانيُّ إلى جماليّ خالصٍ؟

لما فعلتِ ما فعلتِ يا سالومي؟

***

[93]

ما وراء الزمن

أتآلف مع كل ما يتناقضُ أو يصنع التناقض

وأركض تحت محنة السؤالِ

لماذا قلت لي يا سيدي هيراقليطس/

إنه لايمكن النزول إلى البحر مرتين؟!

ها هو نفْس هواء الشمس الحامضة

ونفس لزوجةِ الجسدِ ورملِ اللذةِ

نفس الزبد والموج

نفس الأنوثة الهرمةِ

ونفس الريح الحامضةِ

نفس الشهوة التي تلطخ نوافذَ الجسد وشرَّاعاته

الأبديةُ هي نفس الأبدية

الزمن هو المشكلةْ

وما وراء الزمن هو العبث والفوضى

نفس الهباء وعالم الذَّر

الخيالُ وما يشعل الرمز

الأزل والأبد وروح القدس

المعرفةُ وحقيقة الموت

تفتت الجسد واندثار الروحِ

أو خلود الروح واندثار ما يسمى بجسدانية الجسد

هأ .. هأ .. هأ .

ـ من صرَّ الماء في صرةٍ؟ من صَعَدَ إلى السماءِ ونزل ـ

الخلاء الخلاء الخلاء!!

[94]

انغمار الجسد

ماذا تعني اللذةُ وما هي حقيقةالإثم؟

ماذا تعني القوةُ وما هي حقيقة الشر؟

ماذا يعني انسلاخ الليل عن النهار وانسلاخ النهار عن الليل؟

ماذا يعني النورُ الخالصُ

وماذا تعني الظلمةُ الخالصةُ؟

ما هي حقيقة الأبدية؟

وكيف أحدق بعيني هاتين في بئرِ الأزلِ الفارغِ؟

ماذا يعني الموتُ وما هي حقيقته؟

ماذا يعني اليأسُ وما هوالأملْ؟

ماذا يعني العجزُ الكاملُ وتآكلُ الروحِ؟

ماذا يعني انغمارُ الجسد بالظلمة؟!

هل يقف على شفير الهاويةِ؟

هل يتركُ نفسه لخفافيش الظلام تنهشه؟

ماذا يفعل برتابة الجنونِ

وعجزِ المنطقِ؟

[95]

شرفة الجنة

كيف لي أن أقصد إلى عينيك اللتين تشبهان العزلةَ

أن أنزل إلى أرضك الشاسعة المسيجةِ باللُّبان والمرّ؟!

أنت أيتها المرأةُ التي تقف على شرفة الجنة

لترقب غواية الجحيم وتقف على ساحل الجحيم

لتطلق طيورها الليلية باتجاه النهار

وطيورها النهارية باتجاه الليل

ولا شيء يحجزها عن الأبدية إلا ضحكات السهر اللذيذ

ولا شيء يحجزها عن السهر اللذيذ إلا شواطىء الأبد والأزل

يامن تملكين بيديك مصائر كل شيء

الموت/ والحياة

الحلم/ وشجر اليقظة

النعاس/ والفضفضة

الشهوة/ واللذة المباركة

ذراعاك مصبوبتان من الماس والسوسن وعصائر الحجر الكريم

شفتاك كلمتان خالدتان ومختومتان بخاتم الألوهية الضخم

ولا يقدر على افتضاضهما أي كائنٍ

ومهما كان يعرف من أسرارك

التي تخبئينها في غياهب السمواتِ والأرضِ

جسدك بلا ساحلٍ ولا تقدر سمواتٌ كاملها أن تضاهيه

نجوم عينيك مستقرة في النظرِ إليك طوال الوقت

وذلك رغم أنها مستغرقةٌ في التطلع الدائمِ إلى العالمِ

يدك البَرَكَةُ التي تعمُّ

وليس للرحمةِ معنى آخر

سوى إيماءاتِ عينيك اللتين

تنهمرانِ.

[96]

بحرك مسيج بالشواظ وأنا أفتش عنكِ في السلك

شهبك لماعةٌ وتقف بالمرصاد لكلِّ همَّازٍ مشاءٍ

سفنُكِ بلا ربابنةٍ ولا طواسين

وبحرك مسيج بالشواظِ واللظى

لهيب عينيك يأخذ بالألباب

وأنت واقفةٌ في شكل امرأةٍ جبليةٍ

ومدججةٍ بالسلاح وفي كامل الأهبة والهيئةِ

ولا تعرف سوى الخلجان

ومجاري الأنهار ومداهمات الليل للنهار

ومداهمات النهار لليل

لا جزائر لديك فنقصدك أو نلوذ بها

ولا حيطان بسقوف على بيتك فنقترب منه أو نتحسسه

وليس لنا أن نحدد أين هو مكانك فنتوسل إليك بك

ولا ما هو ميعادك فننتظرك حتى ولو كان الأبد موعدكِ

فقدت يقين نفسي وامتلأت بالضلال

وأنا أتتبعك في الطرق زاغ كل بصرٍ لي

وأنا أراقبك عند كل ناصيةٍ

ساح دمي على الساحل وانجرحت أوردة نفسي

وهلكت روحي وأنا أفتش عنك في السكك

يا لك من طاغيةٍ وتشبه الطغاة!!

***

[97]

كومة إثر كومة

ها أنذا أبني مملكتي على الأرض

أشد قطيفة السموات بصنارة البصيرة

وأجلس وحيداً على شفير الهاويةِ

أعبث بالظلمة

وأكنس العدم

وأكومهُ كومة إثر كومةٍ

وألقي به إلى اللاشيء

ثم أمدّ رجليَّ

لأقف ـ وحيداً ـ على الحافةِ

وأرقب الشمس والقمر

وهما يتعاركانِ ويتضاحكانِ بعيداً

عن الجاذبيةِ!!

[98]

أخبط في قطار الظلمة رأسي

أخبط في قطار الظلمة رأسيْ

ثمت حصا يطفو على سطح الذاكرة

وتعصف به الريح

فجرك يتنطط على الطرقات

وتتفتت الجواشن

وينهار قمرالوحشة أخيراً.

[99]

أتلقف حليب الزرقة الغاوية

أجرجرُ ساقيّ المتعبتين

وأقضمُ تفاحة الغبار

شجر اللذة ينفرط في الطرقات

و هناك على السكك يتناثر حصا الرغبة

عنب الجسد يساقط أخيراً

فأهش العتمة بيديْ

وأنكش خمائر المجرة

وبيديّ هاتين

أتلقف حليب الزرقة الغاويةِ

وأنعس في ضيافةِ النجومِ.

[100]

شيخوخة الجسد

أتقدم وبلا كلماتٍ أقول ما أرى

أدحرج شيخوخة الجسد

وأوسِّدُ المجرةَ في ركنٍ مهملٍ وخربٍ من أركان حجرتيْ

على نوافذ الليل يصعد جبلُ الظلمةِ

وينتحر في عراكه الأبديّ مع الزمنِ

وها أنذا أكنس شوارع اللذةِ باللغة الهرمةِ

وأتفيأ ظهيرتي الخاويةَ

هل من أبجديةٍ أخرى تتسع لمعناي

هل من كلامٍ آخرٍ يليق بما أعرفُ دائماً

وما لا أعرف أحياناً؟!!

[101]

هسهسة الريح

آه من غيابك الجميل يا امرأة

تُرى ما لون عينيكِ

إذ تصفان الأبديةَ

وتصغيان لهسهسةِ الريحِ؟!!

[102]

العالم بلا مأوى

كيف أفرِّق نفسي وأجمعها إليَّ

وأتوسد مخدة الأفقِ هذه

وأنام أنا والريح في حجرةٍ جانبيةٍ

ـ على قش العزلة الرطبِ ـ

نصنع أغنياتنا معاً؟!

وبينما

يتسلل فجرك الداكنُ

ليغفو قليلاً

إلى جواري

أعرف كيف أفرِّق نفسي وأجمعها إليَّ

وها هو ذا العالم يصبح بلا مأوى.

[103]

عليها يتوسد الزمن

كلماتك أيتها الريحُ نقَّالة وعليها يتوسد الزمنُ

ويتوقف بمراكبهِ السكرانة وشباكهِ الرثةِ

شمسك أيتها المرأةُ تطل على قيعانيْ

وها هي ذي وردة الأفقِ تشرئبُّ.

[104]

قيعان النوم الخربة

ها أنذا ثانيةً أنزل إلى قيعان النومِ الخربة

متلفعاً ببراءةالجسدِ

وأمثولاتِ الرغبةِ وأنطفىء على الحواف دائماً

كقرصانٍ أخذ يحكي عن غيبة البحر فوق قارةٍ غارقةٍ

وبينما أمد يديَّ لأقبض على خميرة العالمِ

وشموسه المتكسرة على رمال المجراتِ

لا أقبض إلا على حواسّ الزمن

وأترجل بخطواتٍ هشةٍ على فوهات العدمِ واللاشيء

وأضع إحدى يدي في جيبي

والأخرى عند قبة السماءِ

بينما أجرجر ورائي ما كان

وما سيكونُ.

[105]

بينما تتسكع عريانةً

ها هي الأبديةُ قد أشرقت عليَّ بنور شمسها

بينما تتسكع عريانةً على حواف الجهاتِ الأربعِ

وها هو اللهُ يقبض بيديه على عشبة الحقيقةِ

ويلقي بها إلى الفراغ الغويط

فتتنزل متطايرةً كأنها مجرات من فضاءٍ سحيقٍ

وها أنذا أنكش بيدي الخربتين في طينِ المجرةِ

وأتجول عارياً بين الشيء ونقيضهِ

ماذا أفعل في ساعةِ النومِ الخربةِ هذه؟!!

***

[106]

فيما هو يسحب عزلته

يسحب عزلتَه

فيما هو يُجلس الشمس على كرسي خائخٍ

ويدخن سيجارته الوحيدةَ بنهمٍ

حقيقي وينزلق إلى جسد امرأةٍ

تنام شبه عاريةٍ

أو كأنها الحلمُ.

[107]

ينام شبه أعزل

يكور وقته كاللفافةِ

فيما ينام شبهَ أعزلٍ ولا يحلم سوى بالنجومِ

وها هي الغيوم تحرقهْ.

[108]

يمسح بيديه غبار السموات والأرض

يحلم أن ينام عارياً ـ هو الآخر ـ

بين كواكبِ المجموعةِ الشمسيةِ

ولايصادق غير الريحِ

آه مِن هذه المرأةِ الغريبةِ الجميلةِ..!!

فيما هو يمدد رجليه على حافة الأفقِ

ويمسح بيديه غبار السموات والأرض

ولا يعقد إلا حلفاً مع النهارِ والليلِ في حضور زهرةِ الأكاسيا

ألا يسمع إلا جسمها؟

***

[109]

بين قاعدتي النهدين الرخاميتين

لماذا أشبه عينيك بالأفقِ دائماً أيتها المرأة الغريبة الجميلةُ؟

هكذا أخذ يقول عن امرأةٍ أحبها جيداً واصطفاها لنفسهِ

فيما يقول عن العَرَقِ النابتِ المتسرسبِ

بين قاعدتي النهدينِ الرخاميتينِ المكتنزتينِ

عَرَقُكِ

يشبه شهدَ الجنةِ.

[110]

يتحسس الجسد

فيما كان

يجلس المرأة أمامه شبهَ عاريةٍ على أرائك النحاسِ واللذةِ

كان يتحسس الجسد بيدينِ

مبصرتينِ..!!

[111]

بين الفخذين تنعس سماوات بأبهةٍ

بين الفخذين اللدنينِ المكتنزين

يتربع قمرأحمر وحيد

وتنعس سماواتٌ بأبهةٍ

فيما يشتعل نهارٌ برغباتْ.

[112]

أيتها الحبيبة باللذَّات

على أطراف شعرك الجميلِ

ـ أيتها الحبيبة باللذاتِ ـ

يتجول الليلُ بحريةٍ

ويتوكأ على أقمارهِ التي لاتحصى

وفيما هو يتجول ـ وحيداً ـ

كما هى العادة على سواحلكِ اللانهائيةِ

كان يدرك لأول مرةٍ

معنى الظلمةِ الحقيقيةِ

والليلِ الحقيقيِّ

ويقول لنفسه/

كم أنا هالكٌ بأوصافيْ؟!!

***

[113]

لا كلام لكِ

من خلالِ شفتيك اللتين تنزانِ بالشهدِ

أدركت أن لا كلامَ لك يشبه الأبجدية

وإذ تحتاجين إلى الغناءِ دائماً

تنفخُ الريحُ في القصبِ.

***

[114]

ماذا يصنع بغيومه التي يحبسها في جيبه

في الليل

وعلى ما أذكرُ

وفيما كان يسحب وراءهَ نجمته الضالةَ الوحيدةَ

ويتوكأ على عصاه الخشبيةِ

- والتي صاحبته منذ الطفولةِ وحتى نهاية أحلامه وكوابيسهِ -

وقف ليتذكر - فجأة - هذه النجمةَ

أين ومتى قابلها؟ و...

ماذا يصنع بغيومهِ التي يحبسها في جيبهِ كأنها أشلاؤهُ المندثرةُ؟

وفيما هو يمضي

كان يسند كلماته إلى جدرانِ العالمِ الخربةِ

ويتوقف ليقرأَ عن حقيقةِ الليلِ

ربما كان يتوضأ بدمه في اليومِ والليلةِ

خمس مراتٍ على الأقل.

[115]

هذه النجمةُ تتوقف فوق سطح بيتي

ألأنك تصاهر الضوءَ

وتنعس في حجرة واحدةٍ مع الريحِ

تريد أن تقول دائماً/

هذا البحرُ ينبع دائماً من هذه السماءِ؟

هذه النجمةُ ـ ودائماً هذه النجمةُ ـ تتوقف فوق سطح بيتيْ

لكي ترقب انسلاخ الليلِ عن النهار وانسلاخ النهارِ عن الليلِ

ودخول البدن الحي في خميرةِ البدنِ الحيِّ

فيما هي تكدس الفوضى

وتتجول على ساحلِ الأبديةِ

بأبهةٍ..؟!

***

[116]

عجيزة الهاوية

هكذا يجلس النهار وحيداً على عتبات الليلِ

بينما يحكي عن شيخوخةِ الزمنِ

وها هو ذا يفرك أصابعه الملوثة بدمِ الأمسِ

واليومِ فلا يلمس إلا عجيزةَ الهاويةِ

هذا الليل صديق دائم للنهارِ

وها هوذا يختبىء فيه

هذه الأبديةُ هي صورةُ الله ولا شيء بعدُ!!

[117]

أزهار فاضل (2)

فيما أذكر أيضاً

كانت الجميلة أزهارْ تصنع خميرةَ العالمِ بجسدِها

وتعجن الغبار بكامل هيئتهِ

فيما توقد بيديها الشهوانيتينِ خمر اللذةِ

على عريشة الشهوةِ

وإذ يتشعشع الجسدُ الفذّ بالجسدِ الفذِّ

ينبسط كلامُ الله على الأرضِ.

[118]

وأنت قاعد أمام بوابة الربّ

كانت تقول دائماً لي/

لماذا تجرجرُ خلفك كل هذه الشموس

وأنت قاعد أمام بوابة الربِّ تعجن قصدير الجنس

بذهب الأنوثةِ الأخاذِ؟

صحراواتُكَ تسع الأبدَ والأزلَ في قصعةٍ

هل تفكر دائماً في الموت؟!

عليَّ أن أغتسل من جسمك في اليوم والليلة خمس مراتٍ

عليَّ أن أقف على حقيقةِ المادةِ

لأشرف بنفسي على حدودِ الجسدِ

وعجائبهِ فيما...

هو يتكور بين يديك كالعجينةِ

ويندفق بين فخذيَّ كالرغوةِ

عليَّ أن أجفف أعضائي برطوبة المادةِ

وقصديرِ الجنس

وذهب الشهوةِ اللماعِ

هكذا كانت تقول دائماً.

***

[119]

رتق

كيف أحررني من جسدي

وأرتق ما بين المادة والمادةِ بشيء لا يشبه المادةَ

بل هو الحقيقةُ في كمالها؟

[120]

شوارع العتمة

أحياناً

أسير في شوارعِ العتمة

وأنا أحدق بعيني الممتلئتين بعناكب الفراغِ

وأتوقف أمام نجمةٍ ضالةٍ وأقولُ/

تلك أشلائيَ المنبسطةُ.

[121]

بمفردي أتسلق شوارعها

أحياناً

أعطي ظهري للسماء

وأمسح تراب العتمةِ بقطيفةِ الجسدِ

وأتفيأ ظل امرأةٍ وحيدةٍ

أعرف كيف أتسلق بمفردي شوارعها.

[122]

أقعد أنا والأبدية نحكي

أسأل/

علام تفتش هذه المرأةُ؟

وما الذي يربط حقيقةَ الجسدِ بحقيقةِ الجسدِ هذه؟

كيف لي أن أقيس المسافة

بين هضبةِ الصدرِ إلى أرضِ الفخذينِ البرونزيتينِ

ومن جنة السرةِ إلى سندسةِ العنقِ؟

كيف يمكن لظلي أن يقعد جريحاً تحت غيمةِ الإبطِ هذه؟

هل يمكن لهذا الصدرِ أن يعطي تفسيراً واحداً لتبعيةِ الضوءِ للجسدِ وكيفية عمله؟

ولماذا تحمحم الريحُ على أسطوانة الردفين في ضراعةٍ؟

ولماذا أقعد أنا والأبدية لكي نحكي عن هذه المرأة

بالذات؟!

[123]

حليب النعاس الفاخر

أصنع قهوةً مرةً من حليبِ النعاس الفاخرِ

وأحدق إلى البخار الذي يتصاعد

في شكلِ دوائرَ وحلقاتٍ من جوف البحرِ

وأمسك بفراشةِالجسدِ وأحكي دائماً عن هذه الوردةِ.

[124]

شآبيب

أهدم طوفان المعنى بركامِ اللغة

وأنتشر فى الجهات كالشآبيبِ

ربما أسأل/ ما هي الحقيقة أيتها المادةُ الغفلُ؟

هل الموت حطّاب جبليّ هو الآخر لكي يقصفَ الضوء

ويزرزر الأنقاض دائماً على أرضياتِ الغبارِ؟

[125]

مصاطب العدم

أدخل إلى قيعان النومِ هذه

وأجرجر سلةَ الكوابيسِ

وأتنزهُ وحيداً على مصاطب العدمِ

لماذا في كل مرة تخرج لي هذه المرأة بالذات؟

ولماذا تغتسل الشمس تحت هذه البقعة بهذه المرارةِ

وتحت سنديانةِ الجسدِ

تترك صهوَتها .؟!!

[126]

أن تصادق الفراغ

هل القمرُ هو الآخرُ يعرف هذه الحقيقة/إنه لا يبصرأو يرى؟

ليس لك أن تسأل هذه النجمةَ

لك أن تصادق الفراغَ

لك أن تنام على وسادةِ الريحِ

لمَ لا يترك لقدميه أن تقوداه إلى متاهاتِهِ؟

ولمَ لا يترك لنفسهِ أن يحدق جيداً في الهاويةِ المحدقةِ؟

رنينك يشبه العدمَ

أيتها السيدةُ!!

[127]

متربعاً على أريكة الضوء

ها هي اللغة تشتعلُ

وها هو الرمادُ يبتهل إلى صهللةِ الوردِ

وها هو الزمن يشعل سيجارته الوحيدة المنطفئةَ

ويترك لمداخنه المتراصفةِ أن تعمل على المحطاتِ والأرصفةِ

فيما يجلس النهار متربعاً على أريكةِ الضوءِ الفضفاضةِ

غاسلاً رجليه بترابِ المعنى

ونزواتِ العاصفةِ.

[128]

أبتهل إلى الرماد

هل يتلصص على الليل

أم يتأهب هو الآخرُ لمنازلةِ الضوءِ؟

فيما كان الموتُ ـ إذن ـ وها هو البحر صديقي؟

ها أنذا أبتهل إلى الرمادِ

بعتمةِ الشك.

[129]

آنية الزمن المكسورة

هكذا كنت أسير عارياً

إذ دهمتني هذه الرغبةُ/

أضربُ على طبلةِ الفراغِ بأصابعِ الأفقِ

أصنع أنا والضوءُ شاياً نشربهُ

أكتب على آنيةِ الزمن المكسورةِ..

ـ أحياناً ما تأخذ النفس شكل الجسمِ

ويأخذ الجسمُ هيئةَ النفس ـ

أما عن حقيقةِ الروحِ

فتلك بقيةٌ من قمامةٍ.

[130]

هذا العصر

هذا العصرُ قردٌ يبول على خلفيتيه وينام رافعاً مؤخرته.

[131]

على مائدة الربّ يتناول طعام إفطاره

من أين لسليمانَ أن يتعلم صهللة الريحِ

وهو يكتب عن اللذةِ

أو بالأحرى يكتب اللذةَ بحبرِ المادةِ

وكما لو كان يتناول طعام إفطارِهِ

على مائدة الربّ؟!!

[132]

أيتها الذاكرة

انفتحي أيتها الذاكرةُ المسكونةُ بخرائب اللغةِ ووسخِ المادةِ

فها هوذا العصر قردٌ يبكي

إنه العصر الذي يشبه فيما يشبه صدأَ الحديد

وحضارةَ الأنقاضِ والتآكلاتِ.

[133]

يقين الرغبة الأعمى

اصْعد اصْعد بفنائك

أيها الكائنُ الغامضُ المستحيلُ المرئيُّ اللامرئيُ

واضرب اضربْ بكلماتكَ هذه دويبةَ العدم

واستمسك بيقين الرغبةِ الأعمى

وامتلىء بفراغك امتلىء

ثمت أرضٌ أخرى ثمت يقينٌ آخرْ....!!

محمد آدم

- مواليد المنوفية 1954
- إجازة في الآداب / قسم الفلسفة
- دراسات عليا في فلسفة الجمال جامعة عين شمس

صدر له:

1- متاهة الجسد- 1988- دار الغد
2- أنا بهاء الجسد واكتمالات الدائرة- 1992- الهيئة المصرية العامة للكتاب
3- كتاب الوقت والعبارة- 1992- هيئة قصور الثقافة
4- هكذا عن حقيقة الكائن وعزلته أيضاً- 1995- طبعة خاصة
5- نشيد آدم- 2003- دار ميريت
6- حجر وماس- 2003- هيئة الكتاب
7- حجر وماس- 2005- مكتبة الأسرة هيئة الكتاب
8- هكذا عن حقيقة الكائن وعزلته أيضًا- 2006- هيئة الكتاب
9- كل هذا الليل- 2007- دار المحروسة
10- أناشيد الإثم والبراءة- 2002 دار الكلمة (طبعة ثانية)
11- متاهة الجسد- 2003- طبعة ثانية مركز الحضارة
12- نشيد آدم- 2007- طبعة ثانية دمشق
13- الأعمال الشعرية الكاملة (جزءان)- 2007- المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت
14- مختارات بالإنجليزية- 2004- د.محمد عناني هيئة الكتاب
15- ترجمة كاملة للآتي:

أ- نشيد آدم

ب- حجر وماس

ج- هكذا عن حقيقة الكائن وعزلته أيضًا

2006- د.حمدي الجابري تحت الطبع

16- غابة الحليب والفحم- 2009- تحت الطبع
17- الأغنيات العالية للعشب- 2009- تحت الطبع

الفهرس

